اللآلي السنية

في مشروعية مولد خير البرية

تأليف

العلامة عثمان بن الشيخ عمر بن الشيخ داود

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنار الكونين بميلاد أشرف الأولين والآخرين، وإمام الأنبياء والمرسلين، الذي بعثه الله رحمة للعالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل مولد سيد الورى، ببطن مكة أم القرى، وأبرزه في الثاني عشر من أول الربيعين، فكان ربيعا للقلوب وغياثا للمؤمنين، والصلاة والسلام على من أنقذ به الله الخلائق أجمعين، سيدنا محمد قرة العيون، ونور القلوب، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن قدر الله قد جرى، وقضاءه قد مضى، على اختلاف الناس وتفرقهم شيعا وأحزابا، وكل حزب بما لديهم فرحون، قال تعالى: {**ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك**} وإننا في زمان تفاقمت فيه الأمور، والتبس فيه الحق بالباطل، واستوى فيه الجوهر والمدر، والدر والبعر، والعلماء والفجر، كثرت فيه الخطباء، وسادت فيه الجهلاء، وانتهكت الحرمات، وابتذلت الشعائر المأمورة بتعظيمها، وظهرت طوائف تأخذ كل بضاعة مزجاة، وتلتقط كل مغشوشة ساقطة، يراها الناقد أنها مزيفة، وسميت الطغاة دعاة، والرعاة قضاة، والأكارع رؤوسا، والأجلاء أجلافا.

لقد شاع واشتهر في بلاد المسلمين وقراها شرقا وغربا إقامة الاحتفال للمولد النبوي في شهر ربيع الأول من كل سنة، وابتكر ذلك الملك المظفر، ولم يكن بينهم خلاف في ذلك أصلا فيما أعلم، ومضى الأمر على ذلك أكثر من مائة سنة،

ثم أفتى الفاكهاني من المالكية بمنعه، ورده آخرون من أئمة الدين، ولا زال العلماء يستحسنون إقامة الحفلات لمولده صلى الله عليه وسلم واقتدى بهم الناس، ومضت على ذلك القرون.

ثم أتى بلادنا في القرن الرابع عشر الهجري أفراد يهتفون، ويدعون الناس إلى التمسك بالكتاب والسنة النبوية –وما أحسن ما دعوا إليه لو صدقوا فيه– ولما استمالوا بذلك قلوب العامة طفقوا يدعون الناس بعزم قوي وهمة عالية إلى ما ليس في الكتاب والسنة من تحريم السفر إلى زيارة القبور، بما فيها قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنع التوسل بالأنبياء والصالحين، وجعل الطلقات الثلاث واحدة وغير ذلك من العجائب والغرائب، فاتضح للعلماء أنهم يروجون بضاعتهم الكاسدة باسم الكتاب والسنة، فوقعت المناظرات، وارتفعت الثقة والألفة والترابط الإسلامي فيا لها من بلية ورزية !!.

وكان من بين ذلك إنكار الاحتفال للمولد النبوي، فقد منعوه وبدّعوا كل من احتفل له، ورموا عليه كل قبيح وشنيع، بل قيل: إن المتنطعين منهم يقولون: إن الاحتفال بالمولد شرك، وإن المحتفلين له مشركون، ولايقتصرون على ذلك الإنكار بل يسبون من لا يوافقهم في هواهم، وربما يتسبب عن ذلك القتال وإراقة الدماء المحقونة، بل وقع ذلك فعلا في بعض الأماكن كما حقق لي كثير من الثقات، بل قد وقع في بلدتنا ما كاد أن تهلك به خلائق من أجل مسألة المولد النبوي، وكان ذلك بحضور المشايخ الكبار مثل أستاذي العلامة الشيخ عبد الله بن الشيخ داود وغيره.

ولما بلغت مشكلة هذه المسألة إلى هذا الحد المذكور أحببت أن أكتب فيها رسالة صغيرة، وإن كان فيما كتبه الأئمة الأجلة مقنع وكفاية، تشبها مني بهم، وتطفلا على مائدتهم، إذ قيل:

إن طفيلي الكرام يُكْرم

ولا أذكر فيها كثيرا من الأدلة، بل أكتفي منها غالبا على ما هو نص صريح فيما يستدل به على المولد، ويستوي في فهمه الفطن والبليد، وآمل أن ينتفع بها كل من تلقاها بقلب سليم، أو تأملها بعقل متحرر عن التعسف والتعصب، وتجرد عن الحمية والأنفة من الانقياد للصواب.

وأرجو من الله الكريم ذي الفضل والإنعام أن يتقبلها مني بفضله وإحسانه، فإنه نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

تمهيد

في ذكر موضع ولادته صلى الله عليه وسلم ويومها وعامها وشهرها،وفي أول من أحدث المولد النبوي صلى الله عليه وسلم.

اعلم أنهم اختلفوا في الموضع الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم على أقوال، والراجح أنه صلى الله عليه وسلم ولد في الدار المعروفة بدار محمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف.

واعلم أن موضع ميلاده عليه الصلاة والسلام مكان مبارك، يتبرك بزيارته الناس كما قاله العلامة الزرقاني في شرحه على (المواهب اللدنية) ج١ص ٢٥٨.

وقال الإمام النووي في (مناسك الحج) ص٤٤٤: يستحب زيارة المواضع المشهورة بالفضل في مكة والحرم، وقد قيل: إنها ثمانية عشر موضعا، منها: البيت الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو اليوم مسجد في زقاق[1] يقال له: زقاق المولد، ومنها بيت خديجة الذي كان يسكنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخديجة رضي الله عنها، وفيه وَلَدَتْ أولادَها من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي (السيرة الحلبية): أن أهل مكة يزورون موضع مولده صلى الله عليه وسلم انتهى. وما ذاك إلا لمحبتهم الصادقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا شأن العاشقين، وأصحاب الحب الصميم، ألا ترى قول القائل:

---

[1] وفي القاموس: الزُقَاق كغُرابٍ السِّكَةُ.

أمر على الديار ديار ليلى أقبّل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

وقال العلامة الفقيه الشيخ عبد الله بن محمد باقشير الحضرمي الشافعي المتوفى سنة ٩٥٨ في (قلائد الخرائد وفرائد الفوائد) ج١ص٢٧٥: ينبغي أن تزار مواضع مشهورة في الحرم ويُتَبَرَكَ بِها، منها: موضع مولده عليه الصلاة والسلام في الشِّعْبِ، ودار خديجة، وفيها وَلَدَتْ أولادَها منه صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم وتوفيت فيها، وكانت مسكنه حتى هاجر صلى الله عليه وسلم اهـ

وفي الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها للعلامة الحنفي جمال الدين محمد جار الله بن محمد ص٣٥٤: ذكر العلامة النقاش في منسكه مواضع يستجاب فيها الدعاء، منها: مولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين عند الزوال اهـ

ومما يدل على شرف موضع ميلاده صلى الله عليه وسلم ما ورد في حديث الإسراء من أن جبريل عليه السلام أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاة ببيت لحم الذي ولد فيه عيسى عليه السلام، فإذا تشرف بيت لحم بميلاد عيسى عليه السلام فيه حتى أمر سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ليلة مناجاة ربه أن يصلي فيه، فكذلك يتشرف به صلى الله عليه وسلم الموضع الذي ولد فيه صلى الله عليه وسلم.

فمن صلى في هذا المكان تبركا به اهتدي بهدي النبي صلى الله عليه وسلم، وفعل مثل فعله صلى الله عليه وسلم، وكذلك من زاره وأقام فيه وفعل أنواع الطاعات ودعا الله فيه وتمرغ به حبا واشتياقا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قياسا على الصلاة

التي هي عماد الدين، فإذا علمنا أنّها مطلوبة في مثل هذا الموضع فلا مانع من غيرها من أنواع الطاعات.

وقد كان العلماء ورثة رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون ذلك بمجالس الصالحين، ومواضع دروسهم، وأماكن أورادهم وأذكارهم، وممن ثبت عنهم ذلك الإمام المجتهد تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، فقد صرّح غير واحد من العلماء بأنه لما سكن في قاعة دار الحديث الأشرفية سنة ٧٤٢هـ كان يتهجّد ويتمرغ على البساط الذي كان النووي يجلس عليه وقت الدرس ويقول:

وفي دار الحديث لطيف معنى على بُسُطٍ لها أَصْبُوْ [١] وآوِي
لعلي أن أنال بحُرِّ وجهي مكانا مسه قدم النواوي

فتراه يرتجي أن يمس بوجهه مكانا مسه قدم الإمام النووي، وذلك للتبرك به.

وممن ذكر هذه القصة وعدها من محاسن السبكي السخاوي والسيوطي وتاج الدين عبد الوهاب بن الإمام السبكي وابن حجر الهيتمي وغيرهم، ولاشك أن التبرك بموضع ميلاده صلى الله عليه وسلم أعلى وأفضل من التبرك بمواضع الصالحين ومجالسهم.

واختلفوا أيضا في زمنها، والمشهور أنه صلى الله عليه وسلم ولد في ١٢ من شهر ربيع الأول، وعلى هذا العمل، فيحتفل المسلمون في أقطار الأرض للمولد بهذا الوقت، ورجح بعض العلماء أنه ولد في السابع منه. قال العارف بالله سيدي عبد العزيز بن مسعود الدباغ في كتابه (الإبريز) ص١٩٦: إنه صلى الله عليه وسلم ولد

---

[١] وقوله (أصبو) أي أميل وقوله (وآوي) بكسر الواو كما في قوله تعالي: أوآوي الى ركن شديد. وحر الوجه بضم الحاء وهو ما بدا منه.

في سابع ربيع الأول، وهذا هو الواقع في نفس الأمر اهـ ورجح بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم ولد في الثامن من ربيع الأول، وقال الحافظ القسطلاني في (المواهب اللدنيه): قيل: ولد صلى الله عليه وسلم لثمان خلت من ربيع الأول، قال الشيخ قطب الدين القسطلاني: وهو اختيار أكثر أهل الحديث، ونقل عن ابن عباس وزبير بن مطعم وهو اختيار أكثر من له معرفة بهذا الشأن، واختاره الحميدي وشيخه ابن حزم،وحكى القضاعي في (عيون المعارف) إجماع أهل "الزيج[١]" عليه، ورواه الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم، وكان عارفا بالنسب وأيام العرب أخد ذلك عن أبيه جبير انتهى.

وفي (البداية والنهاية) ج٢ص ٢٦٠: نقل ابن عبد البر عن أصحاب التاريخ أنهم صححوا ذلك، وقطع به الحافظ الكبير محمد بن موسي الخوارزمي، ورجحه الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه (التنوير في مولد البشير النذير).

ولم يختلفوا على أنه صلى الله عليه وسلم ولد في الاثنين لحديث (ذاك يوم ولدت فيه) الآتي، لكنهم اختلفوا في أنه صلى الله عليه وسلم ولد في ليلتها أويومها.

واختلفوا أيضا في العام الذي ولد فيه صلى الله عليه وسلم، فالأكثرون على أنه ولد عام الفيل، وهذا هو المشهور.

---

[١] في (تاج العروس) الزيج علم الهيئة، و(زايجة) صورة مربعة أو مدورة تعمل لموضع الكواكب في الفلك. وفي (مفاتيح العلوم) الزيج كتاب يحسب فيه سير الكواكب وتستخرج التقويمات أعني حساب الكواكب سنة سنة اهـ

ففي (البداية والنهاية) ج٢ص ٢٦٢ و(السيرة النبوية) للحافظ الذهبى ج١ص ٣٤:
قال خليفة ابن خياط: والمجمع عليه أنه عليه الصلاة والسلام ولد عام الفيل اهـ
وقال سيدي عبد العزيز بن مسعود الدباغ في (الإبريز) ص ١٩٦: ولد صلى الله عليه وسلم عام الفيل قبل مجئ الفيل، وببركة وجوده صلى الله عليه وسلم بمكة طرد الله الفيل عن أهلها اهـ

تنبيه

لقد انتشر في الأقطار منذ ثمانية قرون إقامة الاحتفالات للمولد النبوي، واستحسن ذلك العلماء من الفقهاء والمحدثين وغيرهم، وبيّنوا مشروعية ذلك ورغبوا فيه الناس.
وأول من أحدث إقامة الاحتفال للمولد الشريف صاحب إربل الملك المظفر أبو سعيد كوكبوري بن زين الدين علي بكتكين كما في (حسن المقصد في عمل المولد) للحافظ السيوطى و(إعانة الطالبين) للسيد البكرى. وكان الملك المظفر عالما عادلا بطلا عاقلا كما صرح به غير واحد، وقال فيه الذهبي في (سير أعلام النبلاء) ج٢٢ ص ٣٣٤: كان متواضعا، خيّرا سنيا يحب الفقراء والمحدثين، وما نقل أنه انهزم في حرب، وكان يمنع من دخول المنكر ببلده، وبنى للصوفية رباطين، ويبعث للمجاورين – يعني مكة– خمسة آلاف دينار، وأجرى الماء إلى عرفات، وأما احتفاله بالمولد النبوي فيقصر عنه التعبير، كان الخلق يقصدونه من العراق والجزيرة، وتنصب قباب خشب له ولامرأته وتزين، ويخرج من البقر والإبل والغنم شيئا كثيرا، فتنحر وتطبخ الألوان، ويعمل عدة خلع للصوفية، ويتكلم الوعاظ في الميدان فينفق أموالا جزيلة.

قال ابن كثير في (البداية والنهاية) ج ١٣ ص ١٣٦: كان الملك المظفر أحد الأجواد، والسادات الكبراء والملوك الأمجاد، له آثار حسنة، وكان شهما شجاعا بطلا عاقلا عالما عادلا، وكان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول ويحتفل به احتفالا هائلا، وقال السبط: حكى بعض من حضر سماط المظفر في بعض الموالد كان يمد في ذلك السماط خمسة آلاف رأس مشوي، وعشرة آلاف دجاجة، ومائة ألف زبدية، وثلاثين ألف صحن حلوى، قال: وكان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم، ويعمل للصوفية سماعا من الظهر إلى الفجر، ويرقص بنفسه معهم، وكانت له دار ضيافة للوافدين من أي جهة على أي صفة، وقالت زوجته ربيعة خاتون بنت أيوب أخت صلاح الدين: كان قميصه لا يساوي خمسة دراهم فعاتبته بذلك فقال: لبسي ثوبا بخمسة وأتصدق بالباقي خير من أن ألبس ثوبا مثمنا وأدع الفقير المسكين، وكان يصرف على المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، وعلى دار الضيافة في كل سنة مائة ألف دينار اهـ. وفي (جواهر البحار) للعلامة النبهاني ج٣ص٣٣٨: أن الحافظ الإمام أبا شامة شيخ النووي أكثر الثناء على الملك المظفر بماكان يفعله من الخيرات ليلة المولد الشريف

وفي (شذرات الذهب) ج٥ ص ١٣٨: أنه كان يعمل الاحتفالات لمولد النبي صلى الله عليه وسلم سنة في الثامن من شهر ربيع الأول، وسنة في الثاني عشر لأجل الاختلاف الذي فيه، فإذا كان قبل المولد بيومين أخرج من الإبل والبقر والغنم شيئا كثيرا يزيد على الوصف، ثم يشرعون في نحرها وينصبون القدور ويطبخون الألوان

المختلفة، فإذا كان صبيحة يوم المولد أنزل الخلع، ويخلع على كل واحد من الفقهاء والوعاظ والقراء والشعراء، ويدفع لكل واحد نفقة وهدية وما يوصل إلى وطنه.وقال ابن شهبة في (تاريخ الإسلام) بعد كلام طويل، وثناء جميل: قال جماعة من أهل إربل: كانت نفقته على المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، وعلى الأسرى مائتي ألف دينار، وعلى دار الضيافة مائة ألف دينار، وعلى الخانقاه مائة ألف، وعلى الحرمين وعرفات ثلاثين ألف دينار غير صدقة السر. مات رحمه الله في رمضان بقلعة إربل سنة٦٣٠ هـ وأوصى أن يحمل إلى مكة فيدفن في حرم الله تعالى، وقال: أستجير به. انتهى ما نقلته من (شذرات الذهب) باختصار.

وفي (وفيات الأعيان) لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ج٤ص١١٣–١٢١ أن الملك المعظم مظفر الدين صاحب "إربل" كان له في فعل الخيرات غرائب لم يسمع أن أحدا فعل في ذلك ما فعله، ولم يكن في الدنيا شيء أحب إليه من الصدقة، وكان لا يمكّن أحدا من إدخال المنكر إلى البلد، وهو أول من أجرى الماء إلى جبل عرفات ليلة الوقوف، فإن الحجاج كانوا يتضررون من عدم الماء.

وأما احتفاله بمولد النبي صلى الله عليه وسلم فإن الوصف يقصر عن الإحاطة به، لكن نذكر طرفا منه، وهو أن أهل البلاد كانوا قد سمعوا بحسن اعتقاده فيه، فكان في كل سنة يصل إليه من البلاد القريبة من إربل مثل بغداد والموصل والجزيرة وسنجار ونصيبين خلق كثير من الفقهاء والصوفية والوعاظ والشعراء، ولا يزالون يتواصلون من المحرم إلى أوائل شهر ربيع الأول، وكان يعمل المولد سنة في ثامن الشهر وسنة

في الثاني عشر لأجل الاختلاف الذي فيه، وكان رحمه الله متى أكل شيئا استطابه لا يختص به، بل إذا أكل من زبدية لقمة طيبة قال لبعض أجناده: احمل هذا إلى الشيخ فلان أو فلانة ممن هم عنده مشهورون بالصلاح، وكان كريم الأخلاق، كثير التواضع، حسن العقيدة، سالم البطانة، شديد الميل إلى أهل السنة والجماعة، لا ينفق عنده من أرباب العلوم سوى الفقهاء والمحدثين، ومن عداهما لا يعطيه شيئا إلا تكلفا اهـ

قلت: وقد أطال ابن خلكان في ذكر محاسنه والثناء عليه، ثم قال لم أذكر عنه شيئا على سبيل المبالغة، بل كل ما ذكرته عن مشاهدة وعيان.

وذكر ترجمته آخرون كثيرون، وقال ابن خلكان أيضا: "كوكبوري" بضم الكافين بينهما واو ساكنة ثم باء موحدة مضمومة ثم واو ساكنة بعدها راء، وهو اسم تركي معناه بالعربية ذئب أزرق، و"بكتكين" بضم الباء الموحدة وسكون الكاف وكسر التاء المثناة من فوقها والكاف وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون، وهو اسم تركي أيضا اهـ و"إربل" بكسر ثم سكون وباء موحدة مكسورة ولام بوزن إثمد كما في (معجم البلدان) و(اللباب في تهذيب الأنساب).

و(الخانقاه) كما في (تاج العروس شرح القاموس) بقعة يسكنها أهل الصلاة والخير والصوفية، والنون مفتوحة، وقد حدثت في الإسلام في حدود الأربعمائة، وجعلت لمتخلي الصوفية فيها لعبادة الله تعالى. و(السماط) ما يمد ليوضع عليه الطعام في المآدب ونحوها كما في (المعجم الوسيط)، وفي (القاموس وشرحه) سمط الجدي سمطا فهو مسموط وسميط إذا نتف عنه صوفه بالماء الحار ليشويه، وفي الحديث ما أكل شاة

سميطا أي مشوية. وفي (المعجم الوسيط) الزبدية: وعاء من الخزف المحروق المطلي يخثّر فيها اللبن، وفي (تاج العروس) الزبدية: بالكسر صحفة من خزف.

تنبيهان

الأول: ادعى بعض المانعين لمشروعية المولد أن الملك المظفر كان يعمل المولد النبوي لأغراض سياسية، وأطماع دنيوية، ولم يكن يفعله لقصد ديني، ولا لمحبة واحترام لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فاتهموه ورموه بما لم يثبت عنه، وهذه دعوى بلا بينة، وقد قامت شهادة العلماء النقاد على خلافها، فظهر سقوطها وثبت بطلانها. فقد علمت ما وصفه به كثير من أجلاء المؤرخين، وأكابر المحدثين كالحافظ ابن كثير، فقد كان مما أثنى به عليه أنه كان عاقلا، عالما، عادلا، فمن مدحه الحافظ ابن دحية وابن خَلِّكان وأبو شامة المعاصرون له، والحافظ الذهبي وابن العماد الحنبلي وغيرهم لا يضره افتراء هؤلاء عليه، ولا يقدحه ما نسبوا إليه مما هو برىء منه، كرميه بالتشيع ونحوه، فقد ذكرنا آنفا أن الحافظ الذهبي صرح بأنه كان سنيا خيّرا، هذا مع تشدده في نقده للرجال كما لا يخفى عن كل من طالع كتابه (ميزان الاعتدال). فلا تغترّ بما يخوضون فيه في هذه الأيام من جرح من ثبتت عدالته وتحققت أمانته.

الثاني: قيل: إن أول من أحدث المولد النبوي في القاهرة المعز لدين الله الفاطمي سنة ٣٦٢هـ ثم أبطله أمير الجيوش بدر الجمالي سنة ٤٨٨هـ ثم أعاده الآمر بأحكام الله ابن المستعلي سنة ٤٩٥هـ

ولا شك أن هذا زعم باطل لما قدمناه عن الحافظ السيوطي من أن أول من احتفل للمولد النبوي الشريف الملك المظفر، وتبع السيوطي على ذلك كثير من العلماء المؤرخين. وقد استغرب الشيخ عبد الجبار المبارك الحفياني في كتابه (البراهين الجلية في جواز مولد خير البرية) ما كتبه الشيخ محمد الشريف التقلاوي من أن المولد بدعة أحدثها الفاطميون في مصر، وأطال في رده وقال: إن المؤرخين لم يذكروا أن واحدا من ملوك الدولة الفاطمية في مصر قد ابتدع الاحتفال بالمولد.

نكتة

وإذا فرضنا أن الفاطميين هم أول من ابتدع للاحتفال بالمولد النبوي فاعلم أن هذا لا يكون حجة في منع الاحتفال، ولا يكون دليلا على تحريمه ولا علة لمنعه، فقد يخترع الفاسق والمبتدع بل والكافر شيئا لم يسبق إليه، ويكون ذلك الشيء مستحسنا شرعا، ألا ترى أن الحجاج بن يوسف أحدث الشكل والنُّقَطَ في كتابة القرآن الكريم واستحسن ذلك أهل العلم، فما زالوا يكتبون الشكل والنقط في المصحف الشريف، ولم يقل أحد منهم، لا يجوز اتباع هذا السفاك فيما أحدثه، بل عدوا ذلك من محاسنه.

والحاصل أن ما أحدثه الفاسق ونحوه إذا كان حسنا بذاته في الشرع لا يكون قبيحا بمجرد اختراع ذلك الفاسق، فإن الحكم يتعلق بنفس الشيء لا بصلاح الفاعل أو فسقه، ويشبه هذا ما إذا أمر الفاسق ونحوه بخير، فإنه لا يترك قوله لفسقه كما يرشد إليه حديث أبي هريرة الطويل عند البخاري، ففيه أن آتيا أتاه وأمره أن يقرأ

آية الكرسي إذا أوى إلى فراشه، وقال: إنه لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فلما أخبر أبو هريرة ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم قال له: أما إنه قد صدقك وهو كذوب، وقال له صلى الله عليه وسلم: ذاك شيطان.

فإذا علمت أن قول من زعم أن الفاطميين أول من ابتدع الاحتفال بالمولد النبوي باطل، وليس له سند تاريخي، وأنه على فرض ثبوته لا يكون سببا على تحريمه وحجة في منعه، فالذي ينبغي لمن يستشيطون غضبا لمجرد سماع هذا القول عدم الاكتراث به والإعراض عنه بالكلية، فإن ذلك لا يجديه ولا يقوي مزاعمه الجوفاء بل يؤذيه، لإشعاره بضعف إدراكه وقلة معرفته بطرق المناظرة والمباحثة.

فاتضح أن المستدلين لمنع المولد النبوي باختراع الفاطميين مخطئون في أمرين، الأول: نسبة ذلك إلي الفاظميين، والثاني: استدلالهم ذلك لتحريم المولد، كما أخطأ القائلون: إن في عمل المولد تشبها بالنصارى في احتفالهم بميلاد المسيح، وهذا منهم عجب عجاب، بعيد عن القياس والصواب، فإن النصارى يعتقدون بألوهية من يحتفلون له ويأتون في احتفالاتهم المنكرات والفواحش وأنواع الفجور مثل شرب الخمور والألعاب المحرمة، فشتان ما بين من هذا وصفه، وبين من يحتفل بميلاد نبيه معتقدا أنه رسول الله صلي الله عليه وسلم وعبده، ولا يأتي بما نهاه الله عنه ومنعه، بل يذكر ربه، ويمدح نبيه، ويتصدق مما أعطاه الله، فأين التشابه بين هولاء الفريقين؟! وأي مناسبة بين هاتين الحفلتين ؟! فالمقايسة بينهما غلو وإفراط و جهل مركب، أو تجاهل وعناد.

وممن احتفل من الملوك للمولد النبوي احتفالا رسميا ملك مصر أبوسعيد سيف الدين الظاهر بَرْقُوْقْ بن آنص

قال الشيخ جمال الدين أبو المحاسن يوسفي بن تَغْرِيْ بَرْدِيْ في (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) ج١٢ص ٧٢-٧٤: وفي ليلة الجمعة ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة ثمانمائة عمل السلطان الظاهر برقوق المولد النبوي على العادة في كل سنة، ولما كان يوم الخميس جلس السلطان بمخيمه بالحوش السلطاني، وحضر القضاة والأمراء ومشائخ العلم والفقراء، فجلس الشيخ سراج الدين عمر البلقيني عن يمين السلطان، وتحته الشيخ برهان الدين ابراهيم بن زقاعة، وجلس على يسار السلطان الشيخ المعتقد أبو عبد الله المغربي، ثم جلس القضاة يمينا وشمالا على مراتبهم، ثم حضر الأمراء فجلسوا على بعد من السلطان، والعساكر ميمنة وميسرة، فلما فرغ القراء وكانوا عدة قام الوعاظ واحدا بعد واحد، وهو يدفع لكل منهم صرة فيها أربعمائة درهم فضة، وأنعم على القراء، لكل جوقة[1] بخمسمائة درهم فضة، وكانوا أكثر من الوعاظ، ثم مدّ سماط جليل، يكون مقداره قدر عشرة أسمطة من الأسمطة الهائلة، فيها من الأطعمة الفاخرة ما يستحيي من ذكره كثرة، بحيث إن بعض الفقراء أخذ صحنا فيه من خاص الأطعمة الفاخرة، فوزن الصحن المذكور فزاد على ربع قنطار.

ولما انتهى السماط مدت أسمطة الحلوى من صدر المخيم إلى آخره، وعند فراغ ذلك مضى القضاة والأعيان، وبقي السطان في خواصه وعنده فقراء الزوايا والصوفية، فعند

---

١ – في المعجم الوسيط الجَوْقُ والجوقة الجماعة من الناس.

ذلك أقيم السماع من بعد ثلث الليل إلى قريب الفجر وهو جالس عندهم، ويده تملأ من الذهب وتفرغ له لمن له رزق فيه، حتى قيل: إنه فرق في الفقراء ومشائخ الزوايا والصوفية في تلك الليلة أكثر من أربعة آلاف دينار. هذا والسماط من الحلوى والفاكهة يتداول مدة بين يديه، فتأكله المماليك والفقراء، وتكرر ذلك أكثر من عشرين مرة.

ثم أصبح السلطان ففرّق في مشايخ الزوايا القمح، لكل واحد بحسب حاله وقدر فقرائه، كل ذلك خارج عما كان لهم من الرواتب عليه في كل سنة اهـ.

ولد الملك برقوق كما في (الأعلام) للزركلي سنة ٧٣٨هـ وتوفي سنة ٨٠١هـ.

وفي (النجوم الزاهرة) أنه جلس على السلطنة وقت الظهر من يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة ٧٨٤هـ. وأشار السراج البلقيني أن يكون لقبه الملك الظاهر فإن ذلك كان وقت الظهيرة، وقال فيه السخاوي في (الضوء اللامع): كان شهما شجاعا ذكيا، يحب الفقراء ويتواضع لهم، ويتصدق كثيرا خصوصا إذا مرض.

وفي (البداية والنهاية) ج١٢ص٢٦٣ أن الشيخ الصالح العابد عمر الملا كانت له زاوية يقصد فيها وله في كل سنة دعوة في شهر المولد يحضر فيها عنده الملوك والأمراء والعلماء والوزراء ويحتفل بذلك.

الفصل الأول

في ذكر بعض العلماء القائلين بمشروعية المولد النبوي تفصيلا

صرح كثير من العلماء بمشروعية المولد النبوي صلى الله عليه وسلم، فذكر الإمام أبو شامة شيخ الإمام النووي في كتابه (الباعث على إنكار البدع والحوادث) أنه من البدع المستحسنة، فقال: ومن أحسن ما ابتدع في زماننا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق لمولده صلى الله عليه وسلم من الصدقات والمعروف، وإظهار الزينة والسرور، فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان إلى الفقراء مشعر بمحبته صلى الله عليه وسلم وتعظيمه في قلب فاعل ذلك، وشكر الله على ما منّ به من إيجاده صلى الله عليه وسلم، وفيه إغاظة للكفرة والمنافقين.انتهى مانقلته من (حسن المقصد) للسيوطي و(جواهر البحار).

وأبو شامة كما في (البداية والنهاية) ج١٣ ص ٢٥٠: هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان شهاب الدين أبو محمد المقدسي الشيخ الإمام العالم الحافظ المحدث الفقيه المؤرخ، شيخ دار الحديث الأشرفية، صاحب المصنفات العديدة المفيدة، ولد سنة خمسمائة وتسعة وتسعين، وتوفي سنة ستمائة وخمس وستين.

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي في كتابه (لطائف المعارف) ص ١٨٩ ما نصه: وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن صيام يوم الاثنين: ذاك يوم ولدت فيه، وأنزلت عليّ فيه النبوة، إشارة إلى استحباب صيام الأيام التي تتجدد نعم الله على عباده، فإن أعظم نعم الله على هذه الأمة إظهار محمد صلى الله عليه وسلم لهم،

وبعثته وإرساله إليهم، كما قال تعالى: {**لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم**}، فإن النعمة على الأمة بإرساله أعظم من النعمة عليهم بإيجاد السماء والأرض والشمس والقمر والرياح والليل والنهار وإنزال المطر وإخراج النبات وغير ذلك، فإن هذه النعمة كلها قد عمت خلقا من بني آدم كفروا بالله وبرسله وبلقائه، فبدلوا نعمة الله كفرا، وأما النعمة بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم فإن بها تمت مصالح الدنيا والآخرة، وكمل بسببها دين الله الذي رضي لعباده، وكان قبوله سبب سعادتهم في دنياهم وآخرتهم، فصيام يوم تجددت فيه هذه النعم من الله على عباده المؤمنين حسن جميل، وهو من باب مقابلة النعم في أوقات تجددها بالشكر، ونظير هذا صيام يوم عاشوراء حيث أنجى الله فيه نوحا من الغرق، ونجى فيه موسى وقومه من فرعون وجنوده، وأغرقهم في اليم فصامه نوح وموسى شكرا لله، فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم متابعة لأنبياء الله، وقال لليهود: نحن أحق بموسى منكم، فصامه وأمر بصيامه اهـ

وفي (حسن المقصد لعمل المولد) للسيوطي سئل شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني عن عمل المولد فأجاب بما نصه: أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن السلف الصالح من القرون الثلاثة، ولكنها اشتملت على محاسن وضدها، فمن تحرى في عملها المحاسن وتجنب ضدها كانت بدعة حسنة، وإلا فلا، وقد ظهر لي تخريجها على أصل ثابت، وهو ما ثبت في الصحيحين من أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم، فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون

ونجى موسى، فنحن نصومه شكرا لله، فيستفاد منه فعل الشكر لله على ما منّ به في يوم معين من إسداء نعمة ودفع نقمة، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة، والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة، وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة في ذلك اليوم، وعلى هذا فينبغي أن يتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى في يوم عاشوراء، ومن لم يلاحظ بذلك لا يبالي بعمل المولد في أي يوم من الشهر بل توسع قوم فنقلوه إلى يوم من السنة وفيه ما فيه، فهذا ما يتعلق بأصل عمله، وأما ما يعمل فيه فينبغي أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من نحو ما تقدم ذكره من التلاوة والإطعام والصدقة وإنشاد شيء من المدائح النبوية والزهدية المحركة للقلوب إلى فعل الخيرات والعمل للآخرة،وأما ما يتبع ذلك من السماع واللهو وغير ذلك فينبغي أن يقال: ما كان من ذلك مباحا بحيث يقتضي السرور بذلك اليوم لا بأس بإلحاقه به، وما كان حراما أو مكروها فيمنع، وكذا ما كان خلاف الأولى هـ

وقال الحافظ السيوطي في (حسن المقصد) وقد ظهر لي تخريجه على أصل آخر، وهو ما أخرجه البيهقي عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد النبوة مع أنه قد ورد أن جده عبد المطلب عق عنه في سابع ولادته، والعقيقة لا تعاد مرة ثانية، فيحمل ذلك على أن الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم إظهار للشكر على إيجاد الله إياه رحمة للعالمين، وتشريع لأمته كما كان يصلي على نفسه لذلك،

فيستحب لنا أيضا إظهار الشكر بمولده بالاجتماع وإطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه القربات وإظهار المسرات.

(**تنبيه**) قد يعترض الحافظ السيوطي على استدلاله بالحديث المذكور بما في المجموع من أنه باطل، وجوابه أن حديث العقيقة المذكور حسن لا باطل، فقد قال ابن حجرالهيتمي في (تحفة المحتاج شرح المنهاج) ج٩ص٤٣١ في باب العقيقة مالفظه: وخبر أنه صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد النبوة قال في المجموع: باطل، وكأنه قلد في ذلك إنكار البيهقي وغيره له، وليس الأمر كما قالوا في كل طرقه، فقد رواه أحمد والبزار والطبراني من طرق، قال الحافظ الهيثمي في إحداها: إن رجاله رجال الصحيح إلاواحدا وهوثقة اهـ

وقال ابن حجر أيضا في (فتح الجواد شرح الإرشاد) ج٢ص٣٦٢: إنه حديث حسن، وفي (مجمع الزوائد) للحافظ الهيثمي ج٤ص٥٩: عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد مابعث نبيا، رواه البزار والطبراني في (الأوسط) ورجال الطبراني رجال الصحيح خلا الهيثم بن جميل وهو ثقة. ولما سئل السيوطي رحمه الله عن عمل المولد النبوي في شهر ربيع الأول هل هو محمود أو مذموم، وهل يثاب فاعله أولا ؟ قال مجيبا عن ذلك: عندي أن أصل عمل المولد الذي هو اجتماع الناس، وقراءة ما تسير من القرآن، ورواية الأخبار الواردة في مبدأ أمر النبي صلى الله عليه وسلم، وما وقع في مولده من الآيات، ثم يمد لهم سماط يأكلون منه من غير زيادة على

ذلك هو من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها، لما فيه من تعظيم قدر النبي صلى الله عليه وسلم وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف اهـ

وقال الحافظ القسطلاني المتوفى سنة ٩٢٣ في (المواهب اللدنية): ولا زال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده عليه الصلاة والسلام، ويعملون الولائم ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويظهرون السرور ويزيدون في المبرات، ويعتنون بقراءة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم، ومما جرب من خواصه أنه – أي عمل المولد – أمان في ذلك العام، وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام، فرحم الله امرءا اتخذ ليالي شهر مولده المبارك أعيادا، ليكون أشد علة على من في قلبه مرض وأعيا داء، أي بما يصيبه من الغيظ الحاصل له بمولده صلى الله عليه وسلم اهـ من (المواهب) مع زيادة يسيرة من شرحه. وقال الزرقاني في شرحه على (المواهب) ج١ ص ٢٦٣: والحاصل أن عمل المولد بدعة، لكنه اشتمل على محاسن وضدها، فمن تحرى المحاسن واجتنب ضدها كانت بدعة حسنة ومن لا فلا [١].

وللشيخ عيسى بن عبد الله بن محمد بن مانع الحميري تأليف سماه: (بلوغ المأمول في الاحتفال بمولد الرسول) وهو من أحسن الكتب المؤلفة في مشروعية الاحتفال لمولده صلى الله عليه وسلم، فقد ذكر فيه أدلة كثيرة، منها: أن الإجماع انعقد على استحسان الاحتفال بالمولد فقال في ص ٨٥-٨٦ ما معناه: ولم نجد من اعترض عليه في زمان ظهوره، فكان إجماعا سكوتيا على مشروعيته واستحسانه.

---

[١] توفي الزرقاني سنة ١١٢٢هـ

وذكر فيه تسع آيات يستدل بها على مشروعيته، وأحد عشر دليلا من السنة المطهرة وغيرها.

وفي (الفتاوي الحديثية) لابن حجر الهيتمي ص١٢٩: أنه سئل عن حكم الموالد والأذكار التي يفعلها كثير من الناس في هذا الزمان، هل هي سنة أم فضيلة أم بدعة؟ فأجاب بما حاصله: إن كانت الموالد والأذكار مشتملة على خير كصدقة وذكر وصلاة وسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه، وليس فيها شر فهي سنة للأحاديث الواردة في الأذكار المخصوصة والعامة، ثم ذكر أحاديث يستدل بها على ذلك، قال: وأما إذا كانت مشتملة على خير وشر فهي ممنوعة انتهى باختصار.

وقال الشيخ أبو بكر شطا في (إعانة الطالبين) ج٣ ص ٣٦٣ في مبحث الولائم: وقد بسط الكلام على الاحتفال بالمولد النبوي شيخ الإسلام ببلد الله الحرام أستاذنا العارف بربه المنان سيدنا السيد أحمد بن زيني دحلان في سيرته النبوية، ولا بأس بإيراده هنا فأقول: قال رضي الله عنه ومتعنا والمسلمين بحياته:

فائدة جرت العادة أن الناس إذا سمعوا ذكر وضعه يقومون تعظيما له صلى الله عليه وسلم، وهذا القيام مستحسن لما فيه من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم، وقد فعل ذلك كثير من علماء الأمة الذين يقتدى بهم.

وقال ابن الجوزي: من خواص المولد أنه أمان في ذلك العام، وبشرى عاجلة لنيل البغية والمرام. وقال سبط ابن الجوزي في (مرآة الزمان) حكى لي بعض من حضر سماط المظفر في بعض المواليد، فذكر أنه عدّ فيه خمسة آلاف رأس غنم شواء،

وعشرة آلاف دجاجة، ومائة ألف زبدية، وثلاثين ألف صحن حلوى، وكان يحضر عنده في الموالد أعيان العلماء والصوفية، فيخلع عليهم ويطلق لهم البخور، وكان يصرف على المولد ثلاثمائة ألف دينار انتهى باختصار. ثم قال المؤلف أبو بكر شطا: وإنما أطلت الكلام في ذلك لأجل أن يعتنى ويرغب جميع الإخوان في قراءة مولد سيد ولد عدنان، لأن من خلقت لأجله الأرواح والأجسام يحق أن يهدى له الروح والمال والطعام اهـ وهذا يدل على أنه موافق لشيخه على استحسان الاحتفال للمولد الشريف.

رأي ابن تيمية في المولد النبوي

اعلم أن ابن تيمية هو شيخ المانعين احتفالَ المولد الشريف وإمامُهم الذي يأخذون بغرائبه ويتبعونه فيما خالف فيه العلماء والمذاهب الأربعة لكنه أباح احتفال المولد الشريف مرة بلا قيد، بل صرّح أن فيه أجرا عظيما وإن اتخذه موسما، ففي (خلاصة الكلام في الاحتفال بمولد خير الأنام) للشيخ عبد الله بن الشيخ أبي بكر بن سالم الشافعي ص٧٧: قال ابن تيمية في كتابه (إقتضاء الصراط المستقيم) ما نصه: (تعظيم المولد واتخاذه موسما قد يفعله بعض الناس ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده وتعظيمه لرسول الله صلى الله عليه وسلم) اهـ

ولا شك أن قصد المحتفلين لمولده صلى الله عليه وسلم في جميع الأقطار والأمصار هو تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو جائز مستحسن عند ابن تيمية.

وفي (خلاصة الكلام) أيضا: قال ابن تيمية في (اقتضاء الصراط المستقيم) ص٢٦٦ ما نصه: وكذلك ما يُحْدِثُه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام، وإما محبة للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيما له، والله يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد لا على البدع اهـ

والواقع الحقيقي أن المسلمين يحتفلون كلُّهم لمحبة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه فقط، لا مضاهاة للنصارى، فقوله: -إما مضاهاة للنصارى- هو خلاف الواقع بلا ريب، ولم نسمع في التواريخ ولم نر بأعيننا من يحتفل للمولد الشريف لمضاهاة النصارى، فقوله هذا مردود وهو ظن السوء بالمسلمين واتهام بهم عما هم بريئون عنه.

وقوله: -لا على البدع- إن كان مراده أن جميع البدع لا ثواب فيها فهو خطأ بَيِّنٌ فإن البدع تعتريها الأحكام الخمسة فمنها ما يجب شرعا وما يندب وما يحرم وما يباح وما يكره، بل منها ما عاب الله به على قوم تركوها، وسيأتي ذلك كله إن شاء الله تعالى .

وذكر مرة أخرى أن هذا الاحتفال ليس بمكروه بشرط عدم اتخاذه راتبة، وفي (خلاصة الكلام): قال ابن تيمية في الفتاوي ج٢٣ص١٣٢ ما نصه: وقد رُوِيَ في الملائكة السيارين الذين يتتبعون مجالس الذكر الحديثِ المعروفِ، فلو أن قوما اجتمعوا بعض الليالي على صلاة تطوع من غير أن يتخذوا ذلك عادة راتبة تشبه السنة الراتبة لم يكره وكذلك القول في ليلة المولد وغيرها اهـ

فقوله: –لم يكره– قد يخالف قوله السابق أن فيه أجرا عظيما، وقد يجمع بينهما بأن عدم الكراهة يصدق على المباح المستوى الطرفين وعلى االمباح المستحسن المطلوب الذي فيه الأجر العظيم لأن المباح يطلق عليهما، فعلى هذا لا تناقض بين قوليه بل هما متفقان على جواز الاحتفال للمولد النبوي، فمن خالفه من أتباعه فقد نابذ قوليه هذين.

وأما قوله من غير أن يتخذ ذلك عادة راتبة إلخ.. فهو خطأ ظاهر فإنه صرح أن فيه أجرا وأن فاعله يثاب به ولا شك أن دوام الأعمال الصالحة مطلوب شرعا بل هو مأمور ولا مانع من اتخاذ الخيرات عادة راتبة كما لا يخفى على أحد، وكذلك المباحات التي لا ثواب فيها فلا ملام على دوامها، وقد اتخذ مانعوا المولد النبوي صلاة التهجد عادة راتبة تشبه السنة الراتبة في العشر الأواخر من رمضان مع كونها محدثة لم يرد عليها دليل كما يأتي إن شاء الله نقلا عن الإمام النووي رحمه الله.

ونقل الشيخ محمد بن علوي المالكي في كتابه (حول الاحتفال النبوي)ص٢٢ عن ابن تيمية كلاما يدل على أن في المولد خيرا لاشتماله على أنواع من المشروع وفيه شرّ من بدعة وغيرها اهـ

وخلاصة القول أن عبارات ابن تيمية متعارضة في الظاهر فقد صرّح مرة أنّ في المولد أجرا عظيما، ومرة أخرى: أن الله يثيب فاعله على محبته للنبي صلى الله عليه وسلم لا على البدع، ومرة أن فيه خيرا وشرا، ومرة أنه ليس بكراهة، وليس في هذه العبارات كلها ما يصرّح بتحريمه مطلقا، فأتباعه الذين يزعمون بتحريمه على الإطلاق

وَيَدْعون الناسَ إلى تركه، وينادون أن فاعله مبتدع فاسق مرتكب كبيرة مخالفون شيخهم في ذلك منابذون قوله وراء ظهورهم، وقد كان من دأبهم التعصب لأرائه والتمسك بغرائبه وبما انفرد به وخالف فيه العلماء أهل المذاهب الأربعة وغيرهم كقوله: إن الطلاق الثلاث لا يقع إلا واحدة، وتحريمه السفر إلى زيارته صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الغرائب العجيبة، وقد ذكر كثيرا منها ابن عماد الحنبلي في (شذرات الذهب) وابن حجر الهيتمي في (الفتاوي الحديثية) وغيرهما، ولا أدري لما ذا خالفوا شيخهم في هذه المسئلة التي وافق عليها العلماء والسواد الأعظم !!.

الفصل الثانى

في أدلة مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي صلى الله عليه وسلم

ومما استدل العلماء رحمهم الله على مشروعيته وحسنه عموم قوله تعالى: {**وافعلوا الخير**}، ومعلوم أن الاحتفال بالمولد يتكون من اجتماع الناس، وقراءة ما تسير من القرآن، ورواية الأخبار الواردة في خوارق العادات والإرهاصات التي ظهرت عند ولادته صلى الله عليه وسلم، وإطعام الطعام للحاضرين، ورفع الأصوات بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم، وبالمدائح النبوية المطربة المهيجة محبته والشوق إليه صلى الله عليه وسلم، والسرور بدخول موسم الميلاد، ونحو ذلك مما يتقرب به إلى الله تعالى. ولا شك أن هذا كله خير، والآية الكريمة تأمر بفعل الخير، فنحن مأمورون بفعل هذه الخيرات المذكورة التي تسمى اصطلاحا بالمولد النبوي.

واستدلوا أيضا بقوله تعالى: {**وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك**}، ولا يخفى أن الاحتفال بالمولد الشريف يشتمل على أنباء سيد الرسل صلى الله عليه وسلم، فيكون فيه تثبيت أفئدة المؤمنين فيكون في الآية الحث على المولد الشريف.

وبقوله تعالى: {**لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه**} فقد قال غير واحد من المفسرين: إن ضميري تعزروه وتوقروه راجعان للنبي صلى الله عليه وسلم، قال القرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن): الهاء فيهما للنبي صلى الله عليه وسلم، وهنا وقف تام، ثم تبتدئ – وتسبحوه – أي تسبحوا الله، وقيل: الضمائر كلها لله تعالى.

وقال الحافظ ابن الجوزي في (المدهش) ص ٣٨: قد تجمع العرب شيئين في كلام فيرد كل واحد منهما إلى ما يليق به، وفي القرآن الكريم {**ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله**} فالسكون بالليل وابتغاء الفضل بالنهار، ومثله قوله تعالى: {**وتعزروه وتوقروه وتسبحوه**} فالتعزير والتوقير للرسول، والتسبيح لله عز وجل. وقال ابن كثير مفسرا لقوله تعالى: {**وتعزروه**} قال ابن عباس وغير واحد: تعظموه، و{**توقروه**} من التوقير والاحترام والإجلال والإعظام إهـ فعلى هذا يكون معنى {**إنا أرسلناك شاهدا– إلى وتوقروه**} أن الله أرسل رسوله ليعظموه ويحترموه ويجلوه فيكون من حكمة بعثته صلى الله عليه وسلم تعظيمه وإجلاله،

ولا شك أن في إقامة الحفلات وإخراج الصدقات، وإكثار الطاعات للسرور بمولده صلى الله عليه وسلم تبجيلا وتعظيما له صلى الله عليه وسلم.

وبقوله تعالى: {**قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا**} قال السيوطي في (الدر المنثور): أخرج أبو الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية قال: فضل الله العلم، ورحمته محمد صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: {**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**}.

وأخرج الخطيب وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما {**قل بفضل الله**} قال النبي صلى الله عليه وسلم اهـ

وفي (بلوغ المأمول): ورجح الآلوسي في تفسيره (روح المعاني) كون الرحمة في الآية هي النبي صلى الله عليه وسلم اهـ

ومن الأحاديث حديث صوم يوم عاشوراء، وحديث أنه صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه المارين.

وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم الاثنين فقال: ذاك يوم ولدت فيه، ويوم أنزل عليّ، وهذا الحديث نص في الاحتفال بيوم مولده صلى الله عليه وسلم بالصيام، وإذا كان الاحتفال بالصيام الذى هو من أركان الإسلام مطلوبا مستحسنا شرعا بنص هذا الحديث فغيره من أنواع البر كالصدقة وإكثار الصلاة والسلام عليه كذلك، وهذا قياس ظاهر يقتنع به إن شاء الله كل من دخل في قلبه الشك من إقامة الاحتفال للمولد النبوي، ولا أظن أن أحدا

يجترئ بعدُ على أن يقول: إن بينهما فرقا فلا يقاس على الصيام غيره، ولا يجوز الاحتفال إلا بالصيام بخلاف غيره من الإنفاق على المساكين، وإطعام الطعام للمجتمعين للمولد الشريف ونحوهما، فإن ذلك يكون عنادا محضا.

وأخرج مسلم أيضا من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بِها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بِها من بعده من غير أن ينقص من أوزراهم شيء. رواه مسلم في كتب العلم والجمعة والزكاة باختلاف يسير في بعض الألفاظ. وقال النووي في شرحه عليه ج٤ص١١٣: وفي حديث من سنّ في الإسلام سنة حسنة إلى آخره: الحث على الابتداء بالخيرات وسنّ السنن الحسنات، والتحذير من اختراع الأباطيل والمستقبحات اهـ.

واستدل الحفاظ ابن ناصر الدين والجزري والسيوطي وغيرهم على مشروعية المولد بقصة أبي لهب المشهورة، ففي (حسن المقصد) للحافظ السيوطي ما لفظه: رأيت إمام القراء الحافظ شمس الدين ابن الجزري قال في كتابه المسمى (عرف التعريف بالمولد الشريف) ما نصه: قد رؤي أبو لهب بعد موته في النوم، فقيل له: ما حالك ؟ فقال: في النار إلا أنه يخفف عني كل ليلة اثنين، وأمص من بين أصبعي ماء بقدر هذا- وأشار لرأس أصبعه- وإن ذلك بإعتاقي لثويبة عند ما بشرتني بولادة النبي صلى الله عليه وسلم وبإرضاعها له، فإذا كان أبو لهب الكافر الذي نزل القرآن بذمه جوزي

في النار بفرحه ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم به فما حال المسلم الموحد من أمة النبي صلى الله عليه وسلم يسر بمولده، ويبذل ما تصل إليه قدرته في محبته صلى الله عليه وسلم. لعمري إنما يكون جزاؤه من الكريم أن يدخله بفضله جنات النعيم. وقال الحافظ شمس الدين ابن ناصر الدين الدمشقي في كتابه المسمى (مورد الصادي في مولد الهادي): قد صح أن أبا لهب يخفف عنه عذاب النار في مثل يوم الاثنين لإعتاقه ثويبة سرورا بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أنشد:

إذا كان هذا كافرا جاء ذمه وتبت يداه في الجحيم مخلدا

أتى أنه في يوم الاثنين دائما يخفف عنه للسرور بأحمدا

فما الظن بالعبد الذي كان عمرَهُ بأحمد مسرورا ومات موحدا

وقصة تخفيف العذاب عن أبي لهب رواها البخاري في صحيحه في باب — وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم– من كتاب النكاح. وذكر الحافظ ابن حجر في (الفتح) كلاما مفيدا يتعلق بهذا الحديث.

ومما يدل على جواز المولد استحسان المسلمين به، فمن حين ظهوره وابتكار الملك مظفر الدين استحسنه المسلمون، وتلقوه بالقبول التام، فيكون مطلوبا للقاعدة المشهورة المأخوذة من حديث ابن مسعود الموقوف "ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه السلمون قبيحا فهو عند الله قبيح" أخرجه أحمد وغيره، ولفظه عند أحمد كما فى مسنده ج١ ص ٤٩٣: عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: "إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد،

فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئا فهو عند الله سيء ". وقال في (بلوغ المأمول): رواه الحاكم في (المستدرك) ج٣ ص٧٨ وصححه، وأقره الذهبى، وانظر (المقاصد الحسنة) ص ٣٦٧ وهو موقوف لكن له حكم الرفع لأنه مما ليس للرأى فيه مجال اهـ وفي (مغنى المحتاج شرح المنهاج) ج٣ ص ١٢٢ أنه مرفوع لا موقوف.

وذلك لأن الأمة لا تجتمع على ضلالة كما أخبر به من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم.

الفصل الثالث

فى بعض من ألف فى المولد النبوى الشريف

ولما اقتنع العلماء بهذه الأدلة وغيرها مما لم نذكره، وأيقنوا على مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي، رغبوا فيه الناس ودعوا إليه وأكثروا التآليف فيه، فممن ألف فيه:

١- الحافظ ابن دحية وهو كما في (البداية والنهاية) ج١٣ ص ١٤٤ أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد الكلبي الحافظ شيخ الديار المصرية في الحديث، ونقل عن ابن خلكان: أن الحافظ ابن دحية اشتغل ببلاد المغرب، ثم رحل إلى الشام، ثم إلى العراق، واجتاز بإربل سنة ٦٠٤ ووجد ملكها مظفر الدين يعتني بالمولد النبوي، فعمل له كتاب (التنوير في مولد السراج المنير) وقرأه عليه بنفسه فأجازه بألف دينار، قال- يعني ابن خلكان- وقد سمعناه على الملك المعظم في ستة مجالس في سنة ٦٢٦

ثم قال ابن كثير: وقد وقفت على هذا الكتاب وكتبت منه أشياء حسنة. إهـ وكان مولد ابن دحية سنة ٥٤٦ أو ٥٤٩ وتوفي سنة ٦٣٣هـ

٢-إمام القراء الحافظ شمس الدين محمد بن محمد الجزري، فقد ألف في المولد الشريف كتابا سماه (التعريف بالمولد الشريف) وكان مولد الحافظ الجزري سنة ٧٥١ وتوفي سنة٨٣٣هـ انتهى من (فهرس الفهارس) ج١ص٣٠٤-٣٠٥.

٣-الحافظ محمد بن عبد الرحمن بن محمد القاهري المعروف بالحافظ السخاوي المولود سنة ٨٣١ والمتوفى سنة ٩٠٢ بالمدينة المنورة.

وقال الشيخ محمد بن علوي المالكي نقلا عن (كشف الظنون): إن الحافظ السخاوي ألف جزءا في المولد الشريف اهـ

٤- الحافظ الديبعي، فقد ألف كتابا في المولد النبوي، حققه وعلق عليه وخرّج أحاديثه الشيخ محمد بن علوي المالكي. قال في (النور السافر) ص ٢١٢: ولد الإمام الحافظ الحجة المتقن شيخ الإسلام علامة الأنام، الجهبذ الإمام، مسند الدنيا أمير المؤمنين في حديث سيد المرسلين أبي محمد عبد الرحمن بن علي الديبع الشيباني وجيه الدين الشافعي بمدينة زبيد سنة ٨٦٦هـ ومن مصنفاته: (تيسير الوصول إلى جامع الأصول) مجلدان، و(مصباح المشكاة)، و(بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد) وله مولد شريف نبوي، وله كتاب المعراج إلى غير ذلك من المؤلفات، وتوفي رحمه الله سنة ٩٤٤هـ

٥-الحافظ العلامة شمس الدين بن ناصر الدمشقي، فقد ألف كتبا في المولد وهي: (مورد الصادي في مولد الهادي) و(جامع الآثار في مولد النبي المختار) و(اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق). وفي (شذرات الذهب) ج٧ ص ٢٤٣ أن شمس الدين أبا عبد الله محمد بن أبي بكر عبد الله بن محمد بن أحمد القيسي الدمشقي الشهير بابن ناصر الدين الشافعي وقيل الحنبلي المولود سنة ٧٧٧ المتوفى سنة ٨٤٢، كان حافظ الشام بلا منازع، ماهرا في الحديث، قرأ على ابن حجر، وقرأ عليه ابن حجر، ومن مشايخه الحافظ الزين العراقي، والسراج ابن الملقن، والسراج البلقيني، وألف التآليف الجليلة أكثرها في الحديث، ومنها: (مورد الصادي في مولد الهادي) واختصر منه (اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق) وله أيضا (جامع الآثار في مولد المختار) اهـ.

٦- الفقيه العلامة ابن حجر الهيتمي ألف مولدا نبويا، وهو كتاب صغير الحجم عظيم الفائدة، نحو ٣٢ صفحة، وقام بشرحه كثير من العلماء منهم: الشيخ أحمد الجمل، له حاشية لطيفة عليه انتهى ما نقلته مماكتبه الشيخ عبد المعز عبد الحميد من ترجمة الهيتمي باختصار، وشرح مولده أيضا كما (في الأعلام للزركلي) ابن عابدين أحمد بن عبد الغني بن عمر. وتوفي الهيتمي رحمه الله سنة ٩٧٤ هـ وقد قيل فيه: ابن حجر في البشر كالياقوت في الحجر.

٧-العلامة علي بن سلطان قارئ الحنفي صاحب كتاب (المرقاة على مشكاة المصابيح) وغيره، تلميذ ابن حجر الهيتمي، فقد ألف كتابا اسمه (المورد الروي في المولد النبوي) كما قال محمد بن علوي المالكي نقلا عن (كشف الظنون).

قال المالكي: وقد حققته بفضل الله تعالى وعلقت عليه وطبعته لأول مرة. وتوفي سنة ١٠١٤هـ

٨-الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير صاحب التفسير، فقد ألف مولدا نبويا طبع أخيرا بتحقيق صلاح الدين المنجد.

٩- الإمام الكبير أبو الفضل الحافظ عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن الشهير بالحافظ العراقي المولود سنة ٧٢٥هـ والمتوفى سنة٨٠٦ فقد ألف مولدا شريفا سماه (المورد الهني في المولد السني).

١٠- العلاّمة إبراهيم بن علي بن ابرهيم الشافعي المقدسي المتوفي سنة ٨٨٧ فقد ألف كتابا في المولد اسمه (فتح الله حسبي وكفى في مولد المصطفى). كما في (الضوء اللامع) للحافظ السخاوي ج١ص٧٥.

١١-الشيخ محمد نووي بن عمر بن عربي بن علي الجاوي المتوفى سنة ١٣١٥ فقد ألف كتاب (الإبريز الداني في مولد سيدنا محمد العدناني) وله شرح على مولد ابن الجوزي سماه: (بغية العوام في شرح مولد سيد الأنام). وقد بلغت تصانيف الجاوي نحو ٣٠ مصنفا اهـ (هدية العارفين) ج٦ ص ٣٩٢.

نكتة

اشتهر أن الحافظ الكبير أبا الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧هـ ألف كتابا في المولد النبوى إلا أن الشيخ عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروسى قال في (النور السافر) ص ٢١٨ ما حاصله: أن المولد الذى اشتهر أنه من تأليف الحافظ ابن الجوزى لا تصح نسبته إليه، بل ألفه الشيخ شهاب الدين أحمد بن علي بن قاسم المالكى الشهير بالحريرى، وتردد الشيخ محمد نووى بن عمر الجاوى فيمن صنفه، فقال في شرحه على هذا المولد: ألفه الشيخ أحمد بن القاسم المالكي الشهير بالحريري على ما ذكره السيد أحمد المرزوقى، لكن اشتهر على ألسنة الناس أن هذا المولد لابن الجوزي هـ وبِهذا يترجح عندنا أن هذا المولد ليس للحافظ ابن الجوزى فليتنبه لذلك.

١٢- السيد جعفر بن حسن البرزنجي المدني المتوفي سنة ١١٧٩ فقد ألف كتابا في المولد النبوي، كما في (جواهر البحار) للنبهاني ج٣ص٤٧٢ اهـ.

قلت: وتكثر قراءته في أرضنا. وأوّله أبتدئ الإملاء باسم الذات العلية. وقسمه أجزاء، يقول في آخر كل منها: عطر اللهم قبره الكريم بعرف شذي من صلاة وتسليم.

١٣. ونظم شيخنا وشيخ مشايخنا الشيخ عبد الرحمن بن عمر القادري الورشيخي مولد البرزنجي، وقال في آخر كل قسم منه:

الهي على قبره عطرن بأعلى صلاة سلام تلا

١٤. وللشيخ عزب مولد منظوم يعرف بمولد الشيخ عزب، يقول في آخر كل قسم منه:

يارب عطر بالصلاة ضريحه وأدم عليه سلام ذاتك سرمدا

وهويقرأ بعض الأحيان في بلدنا.

١٥. وللسيد محمد عثمان الميرغني خليفة سيدي أحمد بن إدريس وصاحب التفسير المسمى (تاج التفاسير) مولد يقرأ بعض الأحيان في بلدنا أيضا، يقول في آخر كل قسم من أجزائه: اللهم صل على الذات المحمدية، واعفرلنا ما يكون وما قدكان.

١٦. وألف الشيح أويس أحمد بن محمد البراوي القادري الصومالي كتابا سمّاه: (مولد الشرفان في مدح سيد ولد عدنان)، أوله: أبتدئ باسم الله وهو مصدر كل سورة وكتاب، وكان الشيخ رحمه الله تعالى شديد المحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخبر في مولده هذا أنه كان يقرأ في الروضة المطهرة دلائل الخيرات كل يوم تسع مرات بالوضوء، وأنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت، وكان ذلك سنة١٢٩٠هـ وتوفي سيدي الشيخ أويس أحمد بن محمد في ٢٣من ربيع الأول سنة ١٣٢٧هـ.

١٧. وللشيخ العلاّمة عبد الرحمن بن أحمد الزيلعي الصومالي مولد سمّاه (ربيع العشاق في ذكر مولد صاحب البراق)، وقال في أوله بعد البسملة والحمدلة أما بعد: فيقول عبد الرحمن بن أحمد الزيلعي القادري ذوالتقصير، غفرله مولاه الخبير: دعاني

حب الانتظام في سلك ناظمي اللآلي المحمدية، وشغفُ قطف الأزهار النبوية، أن أؤلف كتابا في مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وألفت هذا الكتاب بإشارة من حضرة النبي صلى الله عليه وسلم لي في تأليفه. والله أسأل، وبنبيه أتوسل، أن يمدني في هذا الكتاب العظيم بمدد الإقبال والقبول، وسميته بـ (ربيع العشاق في ذكرمولد صاحب البراق) صلى الله عليه وسلم.

١٨. وألف الشيخ علي بن محمد بن حسين الحبشي كتابا سمّاه (سمط الدرر، في أخبار مولد خير البشر، وماله من أخلاق وأوصاف وسير) أوله: الحمد لله القوي سلطانه، الواضح برهانه. وجزّأه أجزاء يقول في آخر كل جزء: اللهم صل وسلم أشرف الصلاة والتسليم، على سيدنا ونبينا محمد الرؤف الرحيم.

وذكر الشيخ عاصم إبراهيم الكتاني الحسيني الشاذلي الدرقاني في كتابه (مجموع لطيف أنسي في صيغ المولد النبوي القدسي نثرا ونظما) بعض ما ذكرناه وزاد عليه زيادات أخرى. منها:

١٩. (إسعاف الراغب الشائق بخبر ولادة خير الأنبياء وسيد الخلائق) للشيخ العلامة محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني وأوله: نحمدك اللهم يا من افتتح بالنور الباهر الأحمدي، والجناب العاطر المحمدي، كلَّ مخلوق ووجود.

٢٠. و(اليُمْنُ والإسعاد بمولد خير العباد) للشيخ الشريف العلامة المحدث الكبير سيدي محمد بن شيخ الجماعة سيدي جعفر الكتاني الحسيني، وأوله: الحمد لله الذي

شرف هذا الوجود بميلاد أكرم نبي وأعزِّ مولود، سيدنا ومولانا محمد النبي المحمود، ذي الشفاعة العظمى والحوض المورود.

٢١. و(بلوغ القصد والمرام بقراءة مولد خير الأنام) للشيخ العلامة محمد ابن محمد الحجوجي الحسني وأوله: سبحان من أوجد الأكوان بمحض رحمته، سبحان من دبَّر الخلائق بلطف حكمته، تفضلا منه تعالى وامتنانا، سبحان من انفرد بالإمداد كما انفرد بالإيجاد، سبحان من تنزه عن الأضداد والأنداد.

٢٢. و(شفاء السقيم بمولد النبي الكريم) للشيخ العلامة المحقق أبوعلي سيدي الحسن بن عمر مزور، وأوله: الحمد لله الذي فتح أقفال العالم بنور الذات الأحمدية، وجعله الساري في الكل بمادته النورانية، فأمده به منه في الصور الروحانية الجسمانية، وخلع عليه برود عنايته.

٢٣. و(قصة المولد النبوي لخير البريّة ملخصة من سيرته الزكية) للشيخ العلامة فضول بن محمد الهواري الصوفي، وأوله: نحمدك اللهم رافع الخضراء وباسط الغبراء، وملهم الحمد والثناء.

٢٤. وألف العلامة المحدث أحمد بن محمد فتحا العلمي الفاسي كتابا صغير الحجم نحو ثلاثة أوراق اسمه (المولد النبوي الشريف) أوله الحمد لله الذي خصنا بسيد الأرسال، وشرفنا به على سائر الأمم والأجيال، وجعل مولده عيدا، وموسما مباركا سعيدا، تتنزل فيه الرحمات وتكثر فيه البركات والخيرات.

٢٥. وألف السيد محمد بن السيد المختار الشنجيطي التيجاني مولدا سماه (مولد إنسان الكمال) أوله: أستفتح باب الكرم والجود، بأعظم أسماء الذات العلية وأستعين بقوة الملك المعبود، العزيز المتعال، وأبذل وسعي في حمد من وفقني على نظم هذه الدرر السنية، شاكرا لأنعمه من حيث لا أحصي ثناء عليه، هو كما أثنى على نفسه بنعوت الكمال.

٢٦. وألف العلامة عبد الله بن محمد المناوي الشاذلي كتابا كبيرا في المولد اسمه (مولد المناوي) أوله الحمد لله الذي أنار الوجود بطلعة خير البرية، سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام قمر الهداية وكوكب العناية الربانية.

٢٧. وألف الشيخ حسن محمد عبد الله شداد عمر باعمر نظما في مولد الحبيب في المدينة المنورة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين ٢١ صفر سنة ١٣٩٨هـ اسمه (فيض الأنوار في ذكرى مولد النبي المختار) أوله:

بدأت ببسم الله في أول السطر وثنيته بالحمد في السر والجهر

وأشكره شكرا يليق كماله على ما حبانا من عطاء بلا حصر

٢٨. وألف الشيخ السيد محمد بن علوي المالكي كتابا سماه (البيان والتعريف في ذكرى المولد النبوي الشريف) قال في أوله: أما بعد: فهذه فصول في السيرة النبوية، انتخبت أكثرها من كلام العلماء الكرام، كالإمام المناوي، والبرزنجي، وابن الديبع والحبشي والوائلي والنبهاني رضي الله عنهم.

٢٩. وألف الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني في المولد نظما اسمه (جواهر النظم البديع في مولد الهادي الشفيع صلى الله عليه وسلم) أوله:

الحمد لله على آلائه　　　حمدا امرئ أخلص في أدائه

أحمده والحمد من نعمائه　　　أن خصنا بخير أنبيائه

٣٠. وألف الشيخ محمد بن سالم بن حفيظ بن الشيخ أبي بكر بن سالم نظما في المولد النبوي اسمه (نظم مولد الحافظ عماد الدين ابن كثير) أوله:

الحمد لله الذي أنارا　　　ذا الكون بالنبي فاستنارا

أزاح كل ظلمات الباطل　　　بنور طه خير كل كامل

وأوضح الطريق بالجمال　　　بعد أن كانوا على ضلال

٣١. وألف الشيخ عبد القادر الحمصي الشاذلي اليشرطي كتابا اسمه (مولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم) أوله: الحمد لله الذي أظهر من باطنِ خفاءِ عماءِ ليلِ هُوِيَّة الأَحَدِيّة، مطالع أنوارِ فجرِ صبحِ حضرةِ الحقيقة المحمدية.

٣٢. وألف الشيخ العلامة الجليل مفتي بيروت الشيخ مصطفى نجا كتابا في المولد اسمه (فرائد المواهب اللدنية في مولد خير البرية) أوله:

أفتتح الكلام بسم الله المتصف بالصفات الأقدسية، مقتديا بالكتاب الكريم فإنه صراط النجاح والنجاة.

وأحمده سبحانه وتعالى حمدا يوافي نعمه الوفية، ويكافئ مزيده الوافر مثلما يحبه ويرضاه.

وأصلي وأسلم على سيدنا محمد خير البرية، وعلى آله وأصحابه والتابعين المهتدين بهداه.

وبعد: فهذه فرائد من خزائن المواهب اللدنية، في شرف مولد من تحلى جيدُ هذا الوجود بِحُلاه.

٣٣. وألف الأستاذ خير الدين وائلي كتابا في المولد اسمه (مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم) أوله الحمد لله الذي هيأ سبيل الخلاص للإنسانية، بدعوة محمد بن عبد الله المنقذة من الأصنام، الذي مدّن العرب بعد أن كانوا في فوضى الجاهلين، وبعد أن كانوا خاضعين للفرس والأعجام.

همهم شن الغارات ونهب الأموال والتفاخر بالعصبية، فصيرهم أمة واحدة تنشر العدل والسلام.

٣٤. وألف الإمام الحافظ محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني الحسني كتابا سماه: (روضات الجنات في مولد خاتم الرسالات)

رتبه على ثلاثة وعشرين روضة على عدد سنِّه صلى الله عليه وسلم من حين البعث إلى حين الوفاة.

وأوله: الحمد لله الذي جعل مولد سيد المرسلين، بشير خيرٍ وسعد على العالمين، والحمد لله الذي يسر ببعثته أسباب الطمأنينة في الظاهر والباطن لجيمع خلقه وهو السميع العليم.

فقال في الروضة الأولى: كل مؤمن أيها الإخوان، يعلم أن الله سبحانه كان موجودا قبل خلق الأكوان، ليس له قبل ولا بعد، ولا فوق ولا تحت، ولا يمين ولاشمال، ولا أمام ولا خلف، ولا كلّ ولا بعض، ولا يقال متى كان ولا أين كان، ولا كيف كان، كوّن الأكوان ودبر الزمان، لا يتقيد بالزمان، ولا يختص بالمكان، ولا يلحقه وهم، ولا ينحصر في الذهن، ولا يتصور في الوهم، ولا يُتَكَيَّفُ في العقل جلَّ عن الشبيه والنظير، {**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**}.

وقال في آخره: وافق الفراغ من تقييده يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر جمادى الأولى سنة ست وخمسين وثلاثمائة وألف. ثم أعدتّ فيه النظر وزدت ونقصت مدة فتم تحريرا في يوم السبت الثامن عشر من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين وثلاثمائة وألف. انتهى ما نقلته من كتاب "مجموع لطيف أنسي في صيغ المولد النبوي القدسي" للشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني.

وذُكِرَ في مصادر كتاب" خلاصة الكلام في الإحتفال بمولد خير الأنام" مؤلفاتٌ ألفت في المولد الشريف منها:

٣٥. مولد (الدر المنظم بمولد النبي الأعظم) للقاضي أحمد العزفي

٣٦. ومولد (البشير النذير السراج المنير) لأبي الوفاء الحسيني

٣٧. ومولد (المصطفى العدناني) لعطية الشيباني الزبيدي

٣٨. ومولد (العلم الأحمد في المولد المحمدي) للإمام عبد الغني النابلسي

٣٩. ومولد (الموارد الهنية في مولد خير البرية) للإمام علي السمهودي

٤٠. ومولد (تحفة البشير على مولد ابن حجر) للإمام الباجوري

٤١. ومولد (نور الصفا في مولد المصطفى) للشيخ علي سليم الطنطاوي

٤٢. ومولد (التجليات الخفية في مولد خير البرية) للشيخ محمد المغربي دفين اللاذقية

٤٣. ومولد (حول الإحتفال بالمولد النوبي الشريف) للسيد محمد بن علوي المالكي الحسني

فهؤلاء وغيرهم ألّفوا في المولد النبوي الشريف تقربا إلى الله بخدمة جنابه الرفيع.

وقد أُلِّفَتْ أيضا كتب كثيرة في مشروعية الإحتفال بالمولد النبوي الشريف واستحبابه منها:

١. (حسن المقصد في عمل المولد) للحافظ الجلال السيوطي.

٢. و (بلوغ المأمول) للشيخ عيسى بن عبد الله

٣. و (خلاصة الكلام في الاحتفال بمولد خير الأنام) للشيخ عبد الله بن الشيخ أبي بن سالم الشافعي.

٤. و (حجة المحتفلين على مانعي احتفال مولد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم) لرفيقي الشيخ أحمد بن الشيخ حسن بن محمود المشهور (بشيخ شيلر).

تنبيه

استحسن بعض العلماء في المولد القيام عند ذكر ولادته صلى الله عليه وسلم، وعند سماع مدحه صلى الله عليه وسلم، قال الشيخ محمد بن علوي المالكي: جرى على هذا القيام العمل في سائر الأقطار والأمصار واستحسنه العلماء شرقا وغربا والقصد به

تعظيم صاحب المولد الشريف صلى الله عليه وسلم، وما استحسنه المسلمون فهو عند الله حسن، وما استقبحوه فهو عند الله قبيح.

واعلم أن القيام لأهل الفضل مشروع ثابت بالأدلة الكثيرة من السنة، وقد ألف الإمام النووي في ذلك جزء مستقلا وأيده ابن حجر، وقد ورد في الحديث المتفق عليه قوله صلى الله عليه وسلم خطابا للأنصار: قوموا إلى سيدكم، وهذا القيام كان تعظيما لسيدنا سعد رضي الله عنه ولم يكن من أجل كونه مريضا وإلا لقال: قوموا إلى مريضكم ولم يقل إلى سيدكم، وكان من الهدي النبوي صلى الله عليه وسلم أن يقوم تعظيما للداخل عليه وتأليفا كما قام لابنته فاطمة رضي الله عنها، فدل ذلك على مشروعية القيام، وقد يقول بعضهم: إن ذلك كان في حياته وحضوره صلى الله عليه وسلم وهو في حالة المولد غير حاضر، فالجواب عن ذلك أن قارئ المولد الشريف مستحضر له صلى الله عليه وسلم بتشخيص ذاته الشريفة، وهذا التصور شيء محمود ومطلوب بل لا بد أن يتوفر في ذهن المسلم الصادق في كل حين ليكمل اتباعه له صلى الله عليه وسلم وتزيد محبته فيه صلى الله عليه وسلم، فالناس يقومون احتراما وتقديرا لهذا التصور الواقع في نفوسهم عن شخصية ذلك الرسول العظيم مستشعرين جلال الموقف وعظمة المقام، ويكون استحضار الذاكر ذلك موجبا لزيادة تعظيمه صلى الله عليه وسلم، انتهى باختصار وتصرف يسير.

ومن فعل ذلك القيام الإمام المجتهد قاضي القضاة تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، ففي (طبقات الشافعية الكبرى) ج٦ ص١٧٤ لابنه عبد الوهاب:

أن والده الإمام السبكي حضر مرة ختمة بالجامع الأموي، وحضرت القضاة وأعيان البلد بين يديه وهو جالس في محراب الصحابة، فأنشد المنشد قصيدة الصرصري التي أولها:

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب

فلما قال: وأن تنهض الأشراف عند سماعه- البيت حصلت للشيخ حالة وقام واقفا للحال، فاحتاج الناس كلهم أن يقوموا فقاموا أجمعون، وحصلت ساعة طيبة. انتهى بلفظه. والأبيات التي أشار إليها هي:

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب   على فضة من خط أحسن من كتب

وأن تنهض الأشراف عند سماعه   قياما صفوفا أو جثيا على الركب

أما الله تعظيما له كتب اسمه   على عرشه يا رتبة سمت الرتب

وفي (جواهر البحار) ج٣ ص ٣٦٠: أن الشيخ أحمد بن عبد الغني بن عمر عابدين المتوفى سنة ١٣٢٠ تقريبا قال في شرحه على مولد ابن حجر الهيتمي: جرت العادة بأنه إذا ساق الوعاظ مولده صلى الله عليه وسلم وذكروا وضع أمه له قام الناس عند ذلك تعظيما له صلى الله عليه وسلم، وهذا القيام بدعة حسنة لما فيها من إظهار الفرح والسرور والتعظيم، بل مستحسنة لمن غلب عليه الحب والإجلال لهذا النبي الكريم عليه الصلاة والسلام.

وقد وجد القيام عند ذكر اسمه الشريف مِن عالم الأمة ومقتَدَى الأئمة دينا وورعا الإمام تقي الدين السبكي، وتابعه على ذلك مشايخ الإسلام في عصره، ثم ذكر ابن عابدين أبيات أبي زكريا يحيى الصرصري المذكورة، وقيام السبكي ومن معه

عند إنشادها، وقال: كان ذلك عند ختم درسه، وقال أيضا: ولم تزل عليه المواظبة من العلماء الأعلام والمشايخ الكرام اهـ.

قلت: وابن عابدين كما في (الأعلام) للزركلي فقيه حنفي ألف نحو ٢٠ كتابا ورسالة، وتوفي سنة ١٣٠٧هـ وقد علمت ما قدمناه من أنه توفي ١٣٢٠هـ.

وقال البرزنجي في مولده: وقد اسحتسن القيام عند ذكر مولده الشريف أئمة ذوو رواية وروية، فطوبى لمن كان تعظيمه صلى الله عليه وسلم غاية مرامه ومرماه. وقال في منظومته في المولد المسماة بالنونية بعد كلام في ظهوره وولادته صلى الله عليه وسلم:

وقد سنّ أهل العلم والفضل والتقى قياما على الأقدام مع حسن إمعان

وقال الشيخ محمد عزب:

ولذكر مولده يسن قيامنا أدَباً لدى أهل العلوم تأكّدا

وقال السيد أحمد زيني دحلان المتوفى سنة ١٣٠٤ هـ: هذا القيام مستحسن لما فيه من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم.

وكان العلماء والمشايخ الذين أدركناهم يقومون عند ذكر ميلاده صلى الله عليه وسلم، وفي المسألة خلاف، فقد قال ابن حجر الهيتمي في (الفتاوي الحديثية) ص ٦٩: إن ما يفعله كثير عند ذكر مولده صلى الله عليه وسلم ووضع أمه له من القيام بدعة لم يرد فيه شيء على أن الناس إنما يفعلون ذلك تعظيما له صلى الله عليه وسلم فالعوام معذورون لذلك، بخلاف الخواص. وعلل ذلك بأن فيه إيهام العوام ندبه اهـ

قلت: لم أر هذا الخلاف لغيره والله أعلم.

فائدة استحسن بعض العلماء فيما مضى وفي زماننا أن يكون يوم المولد الشريف يوم عطلة فلا يدرسون فيه الدروس، ويرشدون الطلبة إلى حضور محافل المولد ويحثونهم على ذلك، وكذلك معلِّمو القرآن الكريم يرسلون الصبيان إلى منازلهم ليشتركوا مع أهلهم الفرح والسرور بعيد المولد النبوي.

وقال الحافظ السيوطي في (حسن المقصد في عمل المولد): قال الكمال الأدفوي في (الطالع السعيد): حكى لنا صاحبنا العدل ناصر الدين محمود بن العماد أن أبا الطيب محمد بن إبراهيم السبتي المالكي نزيل (قوص) أحد العلماء العاملين كان يجوز بالمكتب في اليوم الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: يا فقيه هذا يوم سرور اصرف الصبيان فيصرفنا. ثم قال السيوطي: وهذا منه دليل على تقريره وعدم إنكاره، وهذا الرجل كان فقيها مالكيا متفننا في علوم متورعا، أخذ عنه أبو حيان وغيره، ومات سنة ٦٩٥ اهـ وفي هذا تأديب الصبيان وتربيتهم بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أمر صلى الله عليه وسلم بتأديبهم بذلك، فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال: (أدبوا أولادكم على ثلاث خصال، حب نبيكم، وحب أهل بيته، وقراءة القرآن). وفيه أيضا تعليمهم بشهر ولادته صلى الله عليه وسلم ويومها.

الفصل الرابع

في ذكر العلماء القائلين بجواز هذا الاحتفال إجمالا بعد ذكرهم تفصيلا

لقد ذكرنا من العلماء القائلين بجواز الاحتفال بالمولد النبوي الحافظ ابن دحية، والحافظ شيخ القراء وإمامهم شمس الدين ابن الجزري، والحافظ القسطلاني، وشيخه الحافظ السخاوي، وشيخه أمير المؤمنين في الحديث حافظ عصره ابن حجر العسقلاني، وشيخه الحافظ الكبير الشهير زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، والحافظ إسماعيل بن كثير صاحب التفسير المشهور وتلميذ ابن تيمية، والحافظ ابن رجب الحنبلي، والحافظ شمس الدين بن ناصر الدمشقي، والحافظ السيوطي، والحافظ عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة، والحافظ الديبعي. فهؤلاء اثنا عشر من أكابر حفاظ الحديث وأئمته وحملة الشريعة المطهرة، وذكرنا أيضا أن الإمام الكبير سراج الدين عمر البلقيني، والشيخ المعتقد أبا عبد الله المغربي، والشيخ برهان الدين إبراهيم بن زقاعة كانوا يحضرون حفلة المولد النبوي التي يقيمها السلطان الظاهر برقوق، وذكرنا أيضا الشيخ إبرهيم بن علي بن إبرهيم، والإمام الفقيه ابن حجر الهيتمي، وهو وإن كان حافظا كما في (النور السافر) ص ٢٨٧ لكنه اشتهر بفن الفقه، وأبا الطيب محمد بن إبراهيم السبتى المالكي الفقيه. وهؤلاء كلهم كانوا قبل انصرام القرن العاشر من الهجرة. وذكرنا ممن كان بعد الألف من الهجرة ملا علي بن سلطان قارئ الحنفي، وعده بعضهم من حفاظ الحديث، والشيخ محمد نووي الجاوي، والزرقاني، والسيد أحمد زيني دحلان، وتلميذه السيد البكري، والعلامة البرزنجي،

ومحمد عثمان الميرغني، صاحب (تاج التفاسير) خليفة سيدي أحمد بن إدريس، والشيخ عزب، وعيسى بن عبد الله صاحب (بلوغ المأمول)، ومحمد بن علوي المالكي. وذكرنا من علماء هذا القطر الصومالي الصوفيَ الكبيرَ، والولي الشهير، الشيخ أويس بن محمد البراوي القادري، والعلامة النحرير صاحب الفنون الكثيرة، والتآليف العديدة، الشيخ عبد الرحمن الزيلعي، وشيخنا عبد الرحمن بن عمر الورشيخي بلدا القادري طريقة، والشيخ العلامة محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، والشيخ الشريف العلامة المحدث الكبير سيدي محمد بن شيخ الجماعة سيدي جعفر الكتاني الحسيني، والشيخ العلامة محمد بن محمد الحجوجي الحسني، والشيخ العلامة المحقق أبوعلي سيدي الحسن بن عمر مزور، والشيخ العلامة فضول بن محمد الهواري، والعلامة المحدث أحمد بن محمد فتحا العلمي الفاسي، والسيد محمد بن السيد المختار الشنجيطي التيجاني، والعلامة عبد الله بن محمد المناوي الشاذلي، والإمام ابن الجوزي في المولد، والشيخ حسن محمد عبد الله شداد عمر باعمر، والشيخ السيد محمد بن علوي المالكي، والشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني، والشيخ محمد بن سالم بن حفيظ ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، والشيخ عبد القادر الحمصي الشاذلي اليشرطي، والشيخ العلامة الجليل مفتي بيروت الشيخ مصطفى نجا، والأستاذ خير الدين وائلي، والإمام الحافظ محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني الحسني، والقاضي أحمد العزفي، وأبو الوفاء الحسيني، والعطية الشيباني الزبيدي، والإمام عبد الغني النابلسي، والإمام علي السمهودي، والإمام الباجوري، والشيخ علي سليم الطنطاوي، والشيخ محمد

المغربي دفين اللاذقية، والشيخ عيسى ابن عبد الله، والشيخ عبد الله ابن الشيخ أبي بكر بن سالم الشافعي.

فهؤلاء المذكورون من بين مصنّف في المولد النبوي أو في مشروعية احتفاله، أو من أفتى بذلك، أو حضر باحتفاله بسرور ومحبة مُتّفقُون كلهم على مشروعية الاحتفال للمولد النبوي، وهم الأئمة وقادة الأمة، وحملة الشريعة، وورثة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحفاظ السنّة المطهرة، والمفسرون والفقهاء والأصوليون والزهاد والصوفية، وأؤلئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده، واحذر أن تكون ممن يشاقق الله ورسوله، ويتبع غير سبيل المؤمنين فَيُوَلّيه الله ما تولى، ويصله جهنم وساءت مصيرا، نسأل الله الإهتداء بهديهم والتمسك بحبلهم.

وأما من لم نذكرهم من العلماء فهم أكثر من الآلاف بل والملايين، ولا مطمع في إحصائهم وجمعهم في كتاب. وكذلك الأدلة التى استدلوا بها على مشروعيته كثيرة جدا، واستدلَّ بعضهم على الاحتفال للمولد النبوي بجميع أدلة الشريعة الأربعة من الإجماع ومن آيات كثيرة تبلغ عشرة، وأحاديثَ كثيرة بعضها نصّ في ذلك ليس فيه احتمال، كحديث من سن في الإسلام سنة حسنة– الحديث، والقياس الجلي.

تنبيه في ذكر من منع الإحتفال للمولد النبوي

اعلم أنه لم ينكر فيما علمت مشروعية الاحتفال للمولد الشريف منذ ظهوره إلى أواخر القرن الحادي عشر أو أوائل القرن الثاني عشر أحدٌ من العلماء المعتبرين غير الشيخ عمر بن علي بن سالم اللخمي السكندري الفاكهاني والشاطبى المالكيين،

وتناقض فيه كلام ابن الحاج المالكي كما سيأتي إن شاء الله، قال السيوطي رحمه الله في (حسن المقصد في عمل المولد): إن الفاكهاني ألف كتابا في أن المولد بدعة مذمومة، وسماه (المورد في الكلام على عمل المولد) ثم ذكر السيوطي كتابه ذلك كله من أوله إلى آخره، ثم تعقبه ورده كلمة كلمة فلم تبق بعد ذلك له شبهة.

وفي (حسن المحاضرة) للسيوطي ج١ ص ٤٥٨: أن الفاكهاني كان فقيها متفننا في العلوم صالحا عظيما، صحب جماعة من الأولياء وتخلق بآدابهم، ولد سنة ٦٥٤ هـ ومات سنة ٧٣٤ هـ

وترجم للفاكهاني أيضا الحافظ ابن حجر العسقلاني في (الدرر الكامنة)ج ٣ ص ١٧٨ فمما قال فيه: إنه تفقه لمالك، ومهر في العربية والفنون، وصنف شرح (العمدة) وغيره. قرأت بخط المحدث بدر الدين حسن النابلسي قال: حكى لنا شمس الدين محمد بن عبد المحسن بن أبي الربيع الدمنهوري قال: قال الشيخ شمس الدين الفاكهاني: كان الشيخ أبو العباس الشاطر الدمنهوري يقول: لا يحجبني عن أصحابي التراب، فطلبت من الله تعالى عند قبره ثلاث حوائج، تزويج البنات من فقراء صالحين، وحفظ كتاب الله، وكان تعسر عليّ، والحج وكنت أعوز من النفقة ألف درهم، فرأيت الشيخ في المنام قبل طلوع الشمس وهو يقول: يأتيك فلان التاجر بألف درهم، وما تدخل مكة حتى يفتح عليك بِها، قال: فاقترضت الألف وسافرت حتى وصلت إلى المعلى ولم يفتح عليّ شيء، فلما طلعت الحدرة[1] وأنا ماش وإذا رجل

[1] لعل المراد منه الجبل المرتفع عند مقبرة المعلى، ففي تاج العروس: جبل حادر أي مرتفع اهـ

يسأل عني، فأشاروا إليّ فناولني ألف درهم وقال: رأيت البارحة قائلا يقول: خذ معك ألف درهم وألق بِها فلانا، قال: فأخذتها وأتيت إلى الذي اقترضت منه الألف فدفعتها إليه.

وأما ابن الحاج فقد تكلم في كتابه (المدخل) على عمل المولد فمدحه مرة بما كان فيه من إظهار شعار وشكر، فمما قال فيه: ينبغي إذا دخل هذا الشهر الكريم — يعني شهر مولده صلى الله عليه وسلم – أن يكرم ويعظم ويحترم الاحترام اللائق به اتباعا له صلى الله عليه وسلم في كونه كان يخص الأوقات الفاضلة بزيادة فعل البر فيها وكثرة الخيرات، ألا ترى إلى قول ابن عباس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان، فنمتثل تعظيم الأوقات الفاضلة بما امتثله على قدر استطاعتنا. ومما قال في مدحه وترغيب الناس فيه أيضا: أشار عليه الصلاة والسلام إلى فضيلة هذا الشهر العظيم بقوله للسائل الذي سأله عن صوم يوم الاثنين (ذاك يوم ولدت فيه) فتشريف هذا اليوم متضمن لتشريف هذا الشهر الذي ولد فيه، فينبغي أن نحترمه حق الاحترام ونفضله بما فضله الله به الأشهر الفاضلة وهو منها، وقال أيضا: تعظيم هذا الشهر إنما يكون بزيادة الأعمال الزاكيات فيه والصدقات إلى غير ذلك من القربات، فمن عجز عن ذلك فأقل أحواله أن يجتنب ما يحرم عليه تعظيما لهذا الشهر الشريف، وإن كان مطلوبا في غيره إلا أنه في هذا الشهر أكثر احتراما، كما يتأكد في شهر رمضان وفي الأشهر الحرم، فيترك الحدث بالدين،ويجتنب مواضع البدع وما لا ينبغي.

وذمه مرة أخرى بما يحتوي عليه بعض الموالد من البدع والمحرمات والمنكرات، فمما قال في ذلك: قد ارتكب بعضهم في هذا الزمان ضد هذا المعنى وهو أنه إذا دخل هذا الشهر العظيم تسارعوا فيه إلى اللهو واللعب بالدف والشبابة وغيرهما، وذكر مفاسد أخرى، ثم قال: فإن عمل طعاما فقط ونوى به المولد، ودعا إليه الإخوان وسلم من كل ما تقدم ذكره — أي من المفاسد- فهو بدعة بنفس نيته، لأن ذلك زيادة في الدين، وليس من عمل السلف الماضين، واتباع السلف أولى، ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى المولد، ونحن تبع لهم فيسعنا ما وسعهم اه ملخصا ولا يخفى ما في أول كلامه وآخره من التعارض ولا يمكن جمع ذلك، فلا محيد إذا إلا أن نقول بتناقض قولي ابن الحاج. قال السيوطي رحمه الله في (حسن المقصد): وحاصل ما ذكره ابن الحاج أنه لم يذم المولد بل ذم ما يحتوي عليه من المحرمات والمنكرات، وأول كلامه صريح في أنه ينبغي أن يخص هذا الشهر بزيادة فعل البر وكثرة الخيرات والصدقات وغير ذلك من وجوه القربات، وهذا هو عمل المولد الذي استحسناه، فإنه ليس فيه شيء سوى قراءة القرآن، وإطعام الطعام، وذلك خير وبر وقربة، وأما قوله آخرا: إنه بدعة فإما أن يكون مناقضا لما تقدم أو يحمل على أنه بدعة حسنة أو يحمل على أن فعل ذلك خير والبدعة منه نية المولد كما أشار إليه بقوله: فهو بدعة بنفس نيته فقط وبقوله: ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى المولد، فظاهر هذا الكلام أنه كره أن ينوى به المولد فقط ولم يكره عمل الطعام ودعاء الإخوان إليه، وهذا إذا حوقق النظر لا يجتمع مع أول كلامه، لأنه حث فيه على زيادة فعل البر وما ذكر معه على وجه الشكر لله تعالى

إذ أوجد في هذا الشهر الشريف سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، وهذا هو معنى نية المولد، فكيف يذم هذا القدر مع الحث عليه أولا، وأما مجرد فعل البر وما ذكره معه من غير نية أصلا فإنه لا يكاد يتصور، ولو تصور لم يكن عبادة ولا ثواب فيه، إذ لا عمل إلا بنية ولا نية هنا إلا الشكر لله تعالى على ولادة هذا النبي الكريم في هذا الشهر الشريف، وهذا معنى نية المولد فهي نية مستحسنة بلا شك فتأمل اهـ

وفي (حسن المحاضرة) ج١ص٤٥٩و(الدرر الكامنة) ج٤ص٢٣٧: كان ابن الحاج أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي أحد العلماء العاملين المشهورين بالزهد والصلاح، لزم الشيخ أبا محمد بن أبي جمرة فعادت عليه بركاته، وكان فقيها عالما بمذهب مالك، وصحب جماعة من أرباب القلوب، مات سنة ٧٣٧ هـ وجمع كتابا سماه (المدخل) كثير الفوائد كشف فيه عن معايب وبدع يفعلها الناس ويتساهلون فيها، وأكثرها مما ينكر وبعضها مما يحتمل اهـ

وقال القسطلاني في (المواهب اللدنية) ج١ص٢٦٣: لقد أطنب ابن الحاج في (المدخل) في الإنكار على ما أحدثه الناس من البدع والأهواء والغناء بالآلات المحرمة عند عمل المولد الشريف، فالله يثيبه على قصده الجميل. وقال الزرقاني في شرحه على (المواهب) ج١ص٢٦٣: قال ابن فرحون و(المدخل) كتاب حفيل جمع فيه علما غزيرا،والاهتمام بالوقوف عليه متعين، ويجب على من ليس له في العلم قدم راسخ أن يهتم بالوقوف عليه انتهى.

تنبيه

لقد ذكرنا أن الفاكهاني كان يتبرك بقبر الشيخ شاطر ويدعو عنده، وكان ابن الحاج ممن يستحسن الاستغاثة والتوسل بالصالحين من الأموات، ويحث على ذلك كما ذكره في مواضع من كتابه (المدخل) بل توسل هو بجاه النبي صلى الله عليه وسلم كما في كتابه (المدخل) ج١ص٢٦٤، وأكثر المنكرين للاحتفال للمولد النبوي في العصور المتأخرة يعتقدون أن كل من استغاث بالأموات يكون بذلك مشركا، ويسمون المتوسلين المستغيثين برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالصالحين والمتبركين بقبورهم عبادَ القبور، فكيف يستقيم لهم حينئذ الاستدلال بقول هذين الشيخين ما دام ينسبون إليهم وإلى أمثالهم الشرك وعبادة القبور لتوسلهم وتبركهم بالقبور.

تكميل في ظهور طائفة في بلادنا تمنع الاحتفال للمولد النبوي وتقسيم البدعة إلى محمودة ومذمومة

لقد كثر وانتشر في بلادنا في النصف الأخير من القرن الرابع عشر الهجري إلى عصرنا طائفة تبذل قصارى جهدها في منع المولد النبوي والزجر على فاعليه، وبالغ بعضهم في إنكار ذلك حتى قالوا: إن الاحتفال للمولد النبوي من الكبائر، وإنه كاحتفالات النصارى لعيد الميلاد، وإن الطعام الذي يتصدق فيه حرام أكله إلى غير ذلك من تقوّلاتِهم ومزاعمهم، ولم يذكروا لذلك حجة ولا دليلا من آية قرآنية أو حديث نبوي أو قياس يقتنع به أو يرتضيه من له أدنى معرفة بالعلم، غير أنّهم تشبثوا بكلمة واحدة وهي: أن الاحتفال للمولد لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه

فهو محدث، وكل محدث في الدين بدعة مذمومة، وكل بدعة ضلالة، فيكون المولد حينئذ مذموما وضلالة، ومع هذا وصفوا أنفسهم بأنّهم المتمسكون بالكتاب والسنة النبوية، وادعوا أنّهم الدعاة إليهما، ولا شك أنّهم يخالفون الآيات والأحاديث الكثيرة التي استدل بِها المفسرون والحفاظ للمولد النبوي، وأقوال العلماء الأجلاء، فمتى كانت مخالفة الكتاب والسنة ومنابذتهما موافقة لهما، ومتى كان التمسك بهما وتوقير رسول الله صلى الله عليه وسلم مخالفة لهما ؟!!

وقولهم: لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم غير مُسَلَّمٍ، فقد ذكرنا أن السيوطي استدل للمولد الشريف بحديث أنه صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه، وكذلك شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني استدل على مشروعية المولد بحديث صيام عاشوراء، فهذان شيئان فعلهما النبي صلى الله عليه وسلم، وقد صرح الحافظان المذكوران وغيرهما بأن العقيقة والصيام المذكورين مما يقع عليه اسم الاحتفال للمولد الشريف، فكيف يدعى بعد ذلك أنه صلى الله عليه وسلم لم يحتفل للمولد أصلا، وإنما الذي لم يفعله صلى الله عليه وسلم هذه الكيفية التي ابتدأ بها الملك المظفر من إخراج الصدقات وإظهار المسرات واجتماع الناس لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوقيره وإجلاله.

وكذلك قولهم: إن كل فرد من أفراد المحدثات بدعة سيئة غير مُسَلَّم، فقد قال كثير من المفسرين في قوله تعالى: **{وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة وحمة ورهبانية ابتدعوها}** الآية: إن أتباع عيسى عليه السلام ابتدعوا هذه الرهبانية ولم يذمهم الله

بهذا الإبتداع بل عابهم على عدم رعاية هذه الرهبانية المخترعة، قال الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: {**وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه– ورهبانية**}: لم يعن الله تعالى بابتدعوها طريقة الذم، بل المراد أنهم أحدثوها من عند أنفسهم ونذروها، ولذا قال تعالى بعده: ما كتبناها عليهم. وقال: ورهبانية– منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر، تقديره ابتدعوا رهبانية ابتدعوها، والاستثناء في {**إلا ابتغاء رضوان الله**} منقطع، والمعنى أي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله اهـ

قلت: فهذا نص في ابتداع شيء لابتغاء مرضاة الله، فما المانع أن يكون الاحتفال للمولد الشريف كذلك إذا فرضنا أنه محدث مبتدع.

وفي حاشية الجمل على تفسير الجلال المحلي: قوله {**إلا ابتغاء رضوان الله**} الإستثناء فيه منقطع، وإلى هذا ذهب قتادة وجماعة، قالوا: معناه لم نفرضها عليهم ولكنهم ابتدعوها، وقيل: إن الإستثناء متصل، والمعنى ما كتبناها عليهم لشيء من الأشياء إلا ابتغاء مرضات الله، ويكون كتب بمعنى قضى اهـ من السمين. ومثله في تفسير أبي السعود.

وقال الحافظ السيوطي في (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) في تفسير هذه الآية: أخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه وابن نصر عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إن الله كتب عليكم صيام شهر رمضان ولم يكتب عليكم قيامه، وإنما القيام شيء ابتدعتموه فدوموا عليه ولا تتركوه، فإن ناسا من بني إسرائيل ابتدعوا بدعة فعابهم الله بتركها، وتلا هذه الآية– {**ورهبانية ابتدعوها**} اهـ

وقال القرطبي في تفسير هذه الآية: وهذه الآية دالة على أن كل محدثة بدعة، فينبغي لمن ابتدع خيرا أن يدوم عليه ولا يعدل عنه إلى ضده فيدخل في الآية. ثم ذكر حديث أبي أمامة إلى آخره.

وقال الشيخ عبد الله بن الشيخ أبي بكر بن سالم الشافعي في (خلاصة الكلام في الاحتفال بمولد خير الأنام) ص١٩: روى حديث أبي أمامة المذكور الطبراني في الأوسط، وفي سنده زكريا بن أبي مريم، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال الدارقطني: وما استنبطه الصحابي الجليل أبو أمامة رضي الله عنه صحيح، فإن الآية لم تعب أولئك الناس على ابتداع الرهبانية لأنهم قصدوا بها رضوان الله بل عاتبهم الله على أنهم لم يراعوها حق رعايتها، وهذا يفيد مشروعية البدعة الحسنة كما هو ظاهر من نص الآية وفهم الصحابي الجليل لها. انتهى ما في خلاصة الكلام.

فالحاصل أن الله جل شأنه ذكر في هذه الآية أن أتباع عيسى عليه السلام ابتدعوا رهبانية ابتغاء مرضاة الله، ولم يذمّهم تعالى في ابتداعهم هذا، بل عابهم على عدم رعاية هذه الرهبانية المختَرَعَة حق رعايتها.

فدلّ هذا كله على أنّ ابتداع الخير عموما لابتغاء مرضات الله جائز بل هو محبوب، وأنّ رعايةَ هذا المبتَدَع مطلوب طلبا أكيدا، وأن تركَه عيب يعاب به على تاركه، ولولا أنّ هذا الابتداع مستحسن شرعا لما عابهم الله على تركه وعدم رعايته.

فدلّت هذه الآية دلالة واضحة على مشروعيّة ابتداع الخيرات واختراع المستحسنات.

فأيّ ملام على من اخترع كيفية مخصوصة وهيئة مستحدَثَةً لتوقير سيد الخلائق صلى الله عليه وسلم وتعظيمه من الاحتفال بميلاده صلى الله عليه وسلم وقراءة سيرته وإطعام الفقراء والمساكين ونحو ذلك من أنواع الخيرات والْمَبَرَّات ابتغاء مرضات الله جل جلاله.

ولا أظن أن أحدا يتخيّل أن الله سبحانه وتعالى أباح لأتباع عيسى عليه السلام الابتداعَ ثم يحرّمه عن أتباع سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله وسلم عليهم أجمعين، القائل: من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده.

لطيفة

ينبغي للمحتفلين للمولد النبوي ابتغاءَ رضوان الله أن يدوموا عليه ولا يتركوه أصلا إلا بعذر مانع وإن قلنا: إنه البدعة، فقد علمتَ أن الله تعالى عاب على بني إسرائيل بعدم رعاية ما اخترعوه والتزموه، وقد كان صلى الله عليه وسلم لا يترك عبادة فعلها.

واعلم أن الرهبانية هيئة مركبة من الاعتزال عن الناس والانقطاع إلى العبادة والتَّبَتّل إلى خدمة الرحمن ورفض الدنيا بالكلية والزهد عنها، وكذلك الإحتفال للمولد النبوي هيئة مركبة من اجتماع الناس لقراءة سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإكثار الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وإنشاد المدائح والقصائد النبوية المحرّكة في القلوب كَمِيْنَ حبّ الحبيب والشّوق إليه صلى الله عليه وسلم، فهما متماثلان أو مشتبهان لكون كل منهما هيئةً مركبة من أنواع القُرَبِ والخيرات، فإذا كانت إحداهما –وهي الرهبانية– مطلوبة مستحسنة شرعا فلتكن الأخرى كذلك، وهذا قياس ظاهر جلي والله الموفق.

قال الشيخ عبد الله محمد بن مانع الحميري في كتابه "البدعة الحسنة أصل من أصول التشريع" ص٤٦: لقد ذهب عامة المفسرين إلى أن الله سبحانه وتعالى قد رضي من بني إسرائيل هذه البدعة، وأمرهم بالداوم عليها وعدم تركها، وجعلها في حقهم كالنذر الذي من ألزم نفسه به فعليه القيام به، وعدمُ تركه والتهاونِ فيه، فمن نذر نذرا مّا ولم يوف به فإنه لا يلام على أن نذر هذا النذر، وإنما يلام على عدم الوفاء به.

وقال العلامة الآلوسي (١٥/٢٩٤): " ليس في الآية ما يدلّ على ذم البدعة مطلقا، والذي تدلّ عليه ظاهرا ذم عدم رعاية ما التزموه" انتهى.

فغاية ما تفيده الآية في ذلك النص على أن الرهبانية إنما هي محض بدعة من عند أنفسهم لم يكتبها الله عليهم، دون تلميح من قريب أو بعيد إلى أن الله سبحانه وتعالى قد ذمهم على هذا الإبتداع، بل على العكس من ذلك قد يلمح من سياق الآية ما يدل على امتداحهم على هذه البدعة، وذلك من وجهين:

الوجه الأول: من قوله تعالى: {**إلا ابتغاء رضوان الله**} حيث نص على صحة قصدهم من هذه البدعة وإخلاصهم فيها، قال الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير (٢٧/٤٢٣): "وإنما عطفت هذه الجملة على جملة {**وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه**} لاشتراك مضمون الجملتين في أنه من الفضائل المراد بِها رضوان الله، والمعنى: وابتدعوا لأنفسهم رهبانية ما شرعناها لهم، ولكنهم ابتغوا بِها رضوان الله، فقبلها الله منهم، لأن سياق حكاية ذلك عنهم يقتضي الثناء عليهم انتهى.

والوجه الثاني: من قوله تعالى: {**فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم**} فهذا نص من الله سبحانه وتعالى على أنه قد أثاب الذين رعوها حق رعايتها وأثابهم أجرهم.

وهذا دليل قبول منهم ورضا بفعلهم، قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى (٢٤١/٢٧): وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: إن الذين وصفهم الله بأنهم لم يرعوا الرهبانية حق رعايتها بعضُ الطوائف التي ابتدعتها، وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر أنه آتى الذين آمنوا منهم أجرهم، قال: فدل بذلك على أن منهم من قد رعاها حق رعايتها، فلو لم يكن منهم من كان كذلك لم يكن مستحق الأجر الذي قال جل ثناؤه فيه: {**فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم**} إلا أن الذين لم يرعوها حق رعايتها ممكن أن يكونوا كانوا على عهد الذين ابتدعوها، وممكن أن يكونوا كانوا بعدهم، لأن الذين هم من أبنائهم إذا لم يكونوا رعوها، فجائز في كلام العرب أن يقال: لم يرعها القوم على العموم، والمراد منهم البعض الحاضر، وقد مضى نظير ذلك في مواضع كثيرة من هذا الكتاب.

وقوله: {**فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم**} يقول تعالى ذكره: فأعطينا الذين آمنوا بالله ورسله من هؤلاء الذين ابتدعوا الرهبانية ثوابهم على ابتغائهم رضوان الله، وإيمانهم به وبرسوله في الآخرة، وكثير منهم أهل معاص وخروج عن طاعته والإيمان به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل" اهـ، انتهى ما نقلته من كتاب "البدعة الحسنة أصل من أصول الشرائع" ص٤٦-٤٩.

فثبت أن كثيرا مما اخْتُرِعَ وابْتُدِعَ في الدين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه خير كثير، وأجر جزيل، كما هو ظاهر هذه الآية وصرّح به قوله صلى الله عليه وسلم: من سن في الإسلام سنة حسنة – الحديث، وذكر العلماء أن من البدع ما يكون فرضا فضلا عن أن يكون نفلا، فقد قال النووي في (تَهذيب الأسماء واللغات) في مادة (بدع) ج ٣ ص ٢٠: البدعة بكسر الباء في الشرع هي إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي منقسمة إلى حسنة وقبيحة. قال الشيخ الإمام المجمع على إمامته وجلالته وتمكنه في أنواع العلوم وبراعته أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله ورضي عنه في آخر كتاب (القواعد): البدعة منقسمة إلى واجبة ومحرمة ومندوبة ومكروهة ومباحة، قال: والطريق في ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة، فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة، أو في قواعد التحريم فمحرمة، أو الندب فمندوبة، أو المكروه فمكروهة، أو المباح فمباحة، وللبدع الواجبة أمثلة منها: الاشتغال بعلم النحو الذي يفهم به كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك واجب لأن حفظ الشريعة واجب ولا يتأتى حفظها إلا بذلك، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

الثاني: حفظ غريب الكتاب والسنة في اللغة.

الثالث: تدوين أصول الدين وأصول الفقه.

الرابع: الكلام في الجرح والتعديل، وتمييز الصحيح من السقيم، وقد دلت قواعد الشريعة على أن حفظ الشريعة فرض كفاية فيما زاد على المتعين، ولا يتأتى ذلك

إلا بما ذكرناه، وللبدع المحرمة أمثلة منها مذاهب القدرية، والجبرية، والمرجئة، والمجسمة، والرد على هؤلاء من البدع الواجبة. وللبدع المندوبة أمثلة منها: إحداث الربط والمدارس وكل إحسان لم يعهد في العصر الأول. ومنها: التراويح والكلام في دقائق التصوف، وفي الجدل. ومنها جمع المحافل للاستدلال إن قصد بذلك وجه الله تعالى.

وللبدع المكروهة أمثلة كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف. وللبدع المباحة أمثلة منها: المصافحة عقب الصبح والعصر، ومنها: التوسع في اللذيذ من المآكل والمشارب والملابس والمساكن، ولبس الطيالسة وتوسيع الأكمام، وقد يختلف في بعض ذلك، فيجعله بعض العلماء من البدع المكروهة، ويجعله آخرون من السنن المفعولة في عهد رسول الله فما بعده، وذلك كالاستعاذة في الصلاة والبسملة، هذا آخر كلامه (يعني كلام ابن عبد السلام).

وروى البيهقي بإسناده في (مناقب الشافعي) أن الشافعي رضي الله عنه قال: المحدثات من الأمور ضربان: أحدهما ما أحدث مما يخالف كتابا أو سنة أو أثرا أو إجماعا فهذه البدعة الضلالة، والثانية: ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من العلماء، وهذه محدثة غير مذمومة، وقد قال عمر رضي الله عنه في قيام شهر رمضان: نعمت البدعة هذه يعني أنها محدثة لم تكن، وإذا كانت ليس فيها رد لما مضى، هذا آخر كلام الشافعي رضي الله تعالى عنه انتهى مانقلته من (تهذيب الأسماء واللغات).

وقال النووي أيضا في شرح مسلم في باب الجمعة ج٣ص ٤٢٣: قال أهل اللغة: البدعة كل شيء عمل على غير مثال سابق، قال العلماء: البدعة خمسة أقسام، واجبة

ومندوبة ومحرمة ومكروهة ومباحة، فمن الواجبة نظم أدلة المتكلمين للرد على الملاحدة والمبتدعين وشبه ذلك، ومن المندوبة تصنيف كتب العلم وبناء المدارس والربط وغير ذلك، ومن المباح التبسط في ألوان الأطعمة وغير ذلك، والحرام والمكروه ظاهران انتهى.

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى أيضا: وفي حديث من سن في الإسلام سنة حسنة إلى آخره تخصيص قوله صلى الله عليه وسلم:كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وأن المراد به المحدثات الباطلة والبدع المذمومة، ويؤيد ما قلناه من أن الحديث من العام المخصوص قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في التراويح: نعمت البدعة. ولا يمنع من كون الحديث عاما مخصوصا قوله-كل بدعة- مؤكدا ب"كل" بل يدخله التخصيص مع ذلك كقوله تعالى: {**تدمّركل شيء**} انتهى ملخصا من شرح مسلم ج٤ص١١٣ ومن ج٣ص٤٢٣.

وقال الحافظ ابن عساكر في (تبيين كذب المفتري) ص٩٧: كل بدعة لا توصف بالضلالة، فإن البدعة هي ما ابتدع وأحدث من الأمور حسنا كان أو قبيحا بلا خلاف عند الجمهور، ثم ذكر قول الإمام الشافعي المذكور.

وقال الحافظ السخاوي في (فتح المغيث) شرح ألفية العراقي ج١ص٣٥٦: والبدعة هي ما أحدث على غير مثال متقدم، فيشمل المحمود والمذموم، ولذا قسمها ابن عبد السلام الى الأحكام الخمسة وهو واضح.

وفي (الفتاوي الحديثة) لابن الحجر الهيتمي ص١٣٠: وفي الحديث كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وهو محمول على البدعة المحرمة لا غير، وفيه أيضا: وحيث حصل في الاجتماع لذكر أو صلاة التراويح أو نحوها محرم وجب على كل ذي قدرة النهي عن ذلك، وعلى غيره الامتناع من حضور ذلك، وإلا صار شريكا لهم، ومن ثم صرح الشيخان –أي الرافعي والنووي– بأن من المعاصي الجلوس مع الفساق إيناسا لهم اهـ

واعلم أنه لا خلاف في أن كثيرا من المحدثات الدينية تكون محمودة مستحسنة، بل بعضها فرض كفاية كعلم النحو، وقد قال جمهور العلماء: إنّها تسمي بدعة حسنة، وقد ذكرنا من القائلين بذلك أمير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والإمام الشافعي، وحافظ الدنيا ابن عساكر، وسلطان العلماء عزالدين بن عبد السلام، وأبا شامة، والنووي، والحافظ ابن حجر العسقلاني، والحافظ السخاوي، والجلال السيوطي، وابن حجرالهيتمي، فهولاء عشرة من أئمة الدنيا، وسادات هذه الأمة المحمدية، وعلى نَهجهم هذا مضى أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين، ممن لا يجمعهم ديوان ولا يحصيهم إلا الله،وقد ذكرنا آنفا عن ابن عساكر أنه قال: لا خلاف في ذلك عند الجمهور.

وقال آخرون ليس الاحتفال للمولد بدعة لثبوت أصله من السنة، وتوارد الأدلة المؤيدة لوقوعه.

قلت: خالف الجمهور في تسمية ذلك بالبدعة الحسنة أبو إسحاق إبرهيم بن موسى ابن محمد اللخمي الشاطبي المتوفى سنة ٧٩٠ فقال في كتابه (الاعتصام): إن جميع أنواع البدع ضلالة بلا استثناء، وأنكر أن الأحكام الخمسة تجري عليها، وسمى كل المحدثات الدينية المحمودة بالمصالح المرسلة، فصار قوله هذا شاذا، وقسم آخرون البدعة إلى لغوية وشرعية، وقالوا: إن البدعة المنقسمة إلى حسنة وسيئة هي اللغوية. وأما الشرعية فلا تنقسم إلى ذلك، بل كلها ضلالة.

وعلى هذا فالخلاف لفظي لا معنوي، فيكون مراد من قسمها إلى حسنة وسيئة اللغوية، ومن منع ذلك فمراده الشرعية، وقد نقل ابن حجر الهيتمى في (الفتاوى الحديثية) ص٢٤٠ عن بعضهم ما يفيد ذلك.

وعلى كل حال ليست التسمية مما يهتم به أهل الهمم، ولا مشاحة في الاصطلاح، والمطلوب حكم الحوادث الدينية والمخترعات المتجددة التي ابتكرت للمصالح الدينية، مثل الاحتفال للمولد الشريف، ولاشك أن كثيرا من المحدثات الدينية مطلوبة مستحسنة، مثل جمع أبي بكر الصديق وعثمان بن عفان وزيد بن ثابت رضي الله عنهم القرآن، ومثل التراويح، وتدوين الأحاديث النبوية، وتصنيف الكتب، واختراع الفنون الأدبية مثل النحو والصرف والبلاغة والعروض والقوافي وغير ذلك مما يشابِهها، فهذه من المحدثات المخترعات بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إجماعا، وهي من المطلوبات الواجبات أو المندوبات إجماعا، ولم يكن إحداثها وحده يقتضي ردها، فكيف يقتضي إحداث الاحتفال للمولد وحده منعه.

تنبيه في صلاة التهجد بالجماعة

ومما أحدث صلاة سماها المانعون للمولد صلاة التهجد، يجتمع لها الناس بعد التراويح فيصلون بها جماعة، ويطوّلون قيامها وقنوتها، ومن العجيب أن المانعين من احتفال المولد في هذا الزمان يجتهدون على إحياء ليالي رمضان بهذه الصلاة ويرغبون فيها الناس، فأي فرق بينها وبين المولد؟! فكلاهما لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا السلف الصالح على زعمهم، فهما من المحدثات فكيف يكون أحدهما مطلوبا والآخر ممنوعا.

فائدة

لا يخفى أن صلاة الليل تصلى فرادى ولا تشرع فيها الجماعة، وصلاة التهجد المذكورة من صلاة الليل، فهل تصح حينئذ إذا صليت جماعة أم لا ؟ نعم تصح. فقد قال الإمام النووي في (الروضة) ج١ ص٣٤٠ عند الكلام على النوع الذي لا تشرع فيه الجماعة من النوافل: معنى قولهم: لا تشرع فيه الجماعة- لا تستحب، فلو صلى هذا النوع جماعة جاز ولا يقال مكروه، فقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة على ذلك يعني الجواز انتهى.

واعلم أن الميزان الصحيح هو أن تعرض المحدثات على أدلة الشريعة، فما قبلته كالمذكورات آنفا فهو المقبول شرعا، وما لم تقبله فهو المردود المذكور في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها ولفظه: قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد، وفي رواية لمسلم: من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد.

ويفهم من هذا الحديث أن المردود من المحدثات هو ما ليس من الدين، وأما إذا كانت المحدثات منه فإنها لا ترد بل تقبل، فمفهوم هذا الحديث ومنطوق حديث من سن في الإسلام سنة حسنة إلخ يبينان ويشهدان على أن من سنّ سنة حسنة أو أحدث شيئا من الدين يكون مأجورا غير مردود،فإذا عرضنا المولد النبوي على الشريعة علمنا علما يقينيا أنّها تقبله بل وتُرَحِّبُهُ، فإن المولد عبارة عن أفراد مركبة، وكل فرد منها مطلوب مستحسن شرعا، وهي اجتماع الناس، وقراءة ما تيسر من القرآن، ورواية الأخبار الواردة في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر بعض معجزاته والإرهاصات التي ظهرت قبل بعثته وإنشاد الأناشيد المطربة المهيجة لكامن الحب في قلوب المشتاقين إليه صلى الله عليه وسلم، سواء كانت تلك الأناشيد هي التي قيلت في حضرته عليه الصلاة والسلام، أم التي أنشئت بعد وفاته، وإكثار الصلاة والسلام عليه، وإخراج الصدقات، وإطعام الطعام للحاضرين، وتعليمهم بمكان ولادته صلى الله عليه وسلم وشهرها ويومها ومرضعاته وأولاده ونحو ذلك، ولا يخفي أن كل فرد من تلك الأفراد مطلوب شرعا على انفراده، فلا يمكن عقلا وشرعا أن يكون منكرا بجمعه وتركيبه مع الأفراد الأخرى.

والمولد يطلق اصطلاحا على هذه الأفراد المركبة فيكون مشروعا كما أن آحاد أفراده مطلوبة محبوبة، وهذا ظاهر جلي بل هو من البديهيات.

وأما المولد لغة: فهو زمن الولادة ومكانُها، وليس البحث عنه مرادا هنا.

تنبيه

لما علم بعض المنكرين للمولد أن حديث من سن في الإسلام سنة حسنة هو نص صريح في مشروعيته أوّلوا قوله صلى الله عليه وسلم: من سن، فقالوا معناه: من أحيا في الإسلام سنة، وهذا تأويل غير مقبول إذ لم يسمع في اللغة العربية سنّ بمعنى أحيا، ولم يوجد سبب يقتضي صرف هذا اللفظ عن ظاهره، فيتحتم إبقاؤه على ظاهره والابتعاد عن التصرف بدون حجة في كلام من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم.

وقد قال الشاطبي في تفسير قوله صلى الله عليه وسلم: "من سن سنة" أي من عمل بسنة، قال: وليس المراد من اخترع سنة، وأطال في توجيه ذلك بما لا طائل تحته [1] اهـ

الفصل الخامس

هل الأفضل ليلة المولد أم ليلة القدر؟

اختلف العلماء في أن ليلة المولد أفضل أم ليلة القدر، فقال الحافظ القسطلاني في (المواهب اللدنية): فإن قلت: إذا قلنا بأنه عليه الصلاة والسلام ولد ليلا فأيما أفضل: ليلة القدر أو ليلة مولده عليه الصلاة والسلام ؟ أجيب بأن ليلة مولده صلى الله عليه وسلم أفضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة، أحدها: أن ليلة المولد ليلة ظهوره صلى الله عليه وسلم، وليلة القدر معطاة له، وما شرف بظهور ذات المشرف من أجله

---

[1] الإعتصام ص ١٣٢

أشرف مما شرف بسبب ما أعطيه، ولا نزاع في ذلك، فكان ليلة المولد أفضل من ليلة القدر، الثاني: أن ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها، وليلة المولد شرفت بظهوره صلى الله عليه وسلم، ومن شرف به ليلة المولد أفضل ممن شرفت بهم ليلة القدر على الأصح المرتضى، فتكون ليلة المولد أفضل، الثالث: أن ليلة القدر وقع فيها التفضل على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وليلة المولد الشريف وقع التفضل فيها على سائر الموجودات، فهو الذي بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين، فعمت به النعمة على جميع الخلائق، فكانت ليلة المولد أعم نفعا فكانت أفضل اهـ وقد تعقب الشهاب ابن حجر الهيتمي ما ساقه القسطلاني كما نقله عنه الزرقاني في شرحه على (المواهب)[1]

فائدة: في إجابة الدعاء في الساعة التي ولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم

وفي (الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز"[2]") ص١٩٥- أن العلامة المحدث أحمد بن المبارك سأل شيخه سيدي عبد العزيز بن مسعود الدباغ هل ولد صلى الله عليه وسلم ليلا أو نَهارا ؟ فقال رضي الله عنه: الواقع ونفس الأمر أنه عليه الصلاة والسلام ولد في آخر الليل قبل الفجر بمدة، وتأخر خلاص أمه إلى طلوع الفجر، والمدة التي بين انفصاله صلى الله عليه وسلم من بطن أمه وانفصال الخلاص منها هي ساعة الإجابة في الليل التي[3] وردت بِها الأحاديث. وقال ابن المبارك: كان سيدي عبد العزيز يدلنا

---

[1] انظر المواهب وشرحه ج١ص ٢٥٥

[2] كان عبقريا من أكابر العارفين وإمام الأولياء في عصره ولد سنة ١٠٩٥هـ وتوفى ١١٣٢هـ كما فى الأعلام للزركلى

[3] نعت لقوله ساعة الإجابة

على قيام هذه الساعة كثيرا، ويقول لنا: إن الفجر يطلع من مكة قبل طلوعه بمدينة "فاس" فراقبوا في قيامكم فجر مكة واعملوا.ثم قال ابن المبارك: كنت قبل أن أجتمع مع سيدي عبد العزيز أقرأ آخر سورة الكهف {**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا**} إلى آخر السورة لأفيق في ساعة الاستجابة، وبقيت على ذلك نحوا من ستة عشر عاما، وكذا سمعت من جماعة ممن اعتنى من أمر هذه الساعة المباركة قالوا: فما كنا نفيق إلا في آخر الليل قبل الفجر بمدة انتهى.

وقال ابن المبارك أيضا ص٣٢٨بعد ذكره أن ساعة ولادته صلى الله عليه وسلم هي ساعة الاستجابة: من أراد أن يظفر بِهذه الساعة فليقرأ عند إرادة النوم: {**إن الذين أمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا**} إلى آخر السورة، ويطلب من الله تعالى أن يوقظه في الساعة المذكورة فإنه يفيق فيها، ذكره الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، وقد جربناه ما لا يحصى، وجربه غيرنا، حتى إنه وقع لجماعة غير مرة أن يقرأوا الآية المذكورة ويطلبوا من الله تعالى الإفاقة في الساعة المذكورة، كل واحد منهم يفعل ذلك بخاصة نفسه من غير أن يعلم به صاحبه، وإذا أفاقوا جميعا في وقت واحد انتهى.

خاتمة

قد علم مما ذكرناه أن بركات المولد النبوي لا تنقضي ولا تختص بزمان دون آخر بل هي دائمة تتجدد كل وقت وحين وتتكرر بتكرر الليالي والأيام والأسابيع والأعوام ففي كل يوم وليلة يستجاب الدعاء في الساعة التي ولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم،

وفي كل أسبوع يوم مبارك يستحب فيه الصيام لميلاده عليه الصلاة والسلام فيه، ويتذكر أهل المحبة في اثني عشر من كل شهر ما نال العالم كله في مثل هذا اليوم، فيتنعمون بهذه الذكرى ويفرحون بها، بل يعمل بعضهم في اثني عشر من كل شهر حفلة صغيرة للمولد في بيوتهم، وقد رأيت بعض أحبابنا يفعل ذلك، وفي كل عام شهر يَنْتَظِرُ قدومَهُ كُلُّ مَنْ يُحِبُّ الله ورسوله ويسر برؤية هلاله، اسمه الربيع، وهو كاسمه ربيع قلوب المؤمنين، وعيدهم العظيم، ولله در الإمام الزيلعي حيث قال:

وميلاده عيد لنا وهو ذخرنا يجدد شوق الواله المتطلع

وقال شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن عمر في قصيدة بليغة نظمها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم من بحر الوافر:

محمد تمت النعما علينا بمولدك المكرم يامحمد

وهو شهر التهاني والبشارات والمسرات، وإخراج الصدقات في مولد سيد الكائنات. فهنيئا للمتنَزهين في رياض الاحتفال للمولد النبوي، المتنعمين بسماع لذيذ أوصافه، والمستبشرين الفرحين بدخول شهر ميلاده صلى الله عليه وسلم، كما يتفجعون لدى اقتراب انصرامه. فيا خيبة من تأخذه الكروب والغموم إذا دنا مجيء شهر ظهوره صلى الله عليه وسلم، فتراه حزينا كئيبا تبدو على ظاهره البغضاء والكراهية حتى تنقضي أيام هذا الشهر، وتراه يتضرر من سماع مديحه وطيب ثنائه، وقد سبق أن الحافظ القسطلاني ذكر أن عيد المولد يكون علة على من في قلبه مرض.

فعجيب من تعتريه الهموم إذا ارتاح بذلك أهل المحبة والاشتياق إلى لقاء الحبيب المصطفى، والإمام المجتبى، فعياذا بالله من حرمان نفحات حبيبه صلى الله عليه وسلم، وبركات صفيه صلوات الله وأزكى تسليماته عليه وعلى آله وأصحابه وذريته وأتباعه إلى يوم الدين.

وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يمن عليّ وعلى أصولي وفروعي سببا ونسبا وإخواني وأحبائي مغفرة الذنوب، وستر العيوب، وكشف الكروب ونيل البغية والمآرب، وإجابة الدعوات، وإقالة العثرات، وحسن الختام بجاه سيد الأنام.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك عملت سوء وظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

تَمَّ تبييض هذه الرسالة في مقديشو في الليلة السابعة من شهر ربيع الأول سنة ١٤٢٣هـ بيد أسير مساويه الراجي لطف ربه عثمان بن عمر بن الشيخ داود الأشعري الشافعي، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فهذه قصيدة نظمها المؤلف في الرد على المانعين لاحتفال المولد النبوي صلى الله عليه وسلم، من بحر المتقارب، وهي هذه:

صَلاْةٌ سَلاْمٌ عَلَىْ مَنْ أتى   إِلَىْ الْكَوْنِ أَبْهَىْ مِنَ الْقَمَرَا

مُحَمَّدِ الْمُصْطَفَىْ الْمُجْتَبَىْ   وَآلٍ وَأَصْحَاْبِهِ الأُمَرَا

وَبَعْدُ فَخَيْرُ الْوَرَىْ أَحْمَدَ   بَدَاْ سَيِّدًا خَاْشِعًا أَنْوَرَا

بَدَاْ مِثْلَ نَدٍّ وَعَنْبَرِنَاْ   وَمِسْكٍ شَذَاْهُ يَعُمُّ الْوَرَى

وَمِيْلاْدُهُ نِعْمَةٌ رَحْمَةٌ   وَعِيْدٌ بِهِ الْمُؤْمِنُ اسْتَبْشَرَا

بِشَهْرِ الرَّبِيْعِ بَدَا نُوْرُهُ   فَفَاْقَ الْشُّهُوْرَ بِهِ افْتَخَرَا

وَلَيْلَةُ مِيْلاْدِهِ شُرِّفَتْ   بِهِ عَنْ سِوَاْهَاْ كَمَاْ حُرِّرَا

عَلَىْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ فَضَّلَهَاْ   شُيُوْخٌ كِرَاْمٌ مِنَ الْكُبَرَا

بِهِ عَامُ مِيْلاْدِهِ شَرُفَاْ   وَمَكَّةُ إِذْ فِيْهِمَاْ ظَهَرَا

وَمَاْ زَاْلَ أَهْلُ الْمَحَبَّةِ أَنْ   يُقِيْمُوْا احْتِفَاْلاً لَّهُ أَبْهَرَا

وَمَحْفَلُهُمْ بِالصَّلاْةِ وَبِالْ   ثَنَاْءِ عَلَيْهِ لَقَدْ عُطِّرَا

وَذِكْرُ شَمَائِلِهِ شَأْنُهُمْ   فَبَاْدِرْ وَكُنْ مَعْهُمُوْ وَاذْكُرَا

كَمَاْ يُنْفِقُوْنَ لِتَعْظِيْمِهِ   بِمَاْ الله رَبِّيْ لَهُمْ يَسَّرَا

فَحُبُّهُ تَعْظِيْمُهُ وَاْجبٌ فَطُوْبَى وَطُوْبَىْ لِمَنْ وَقَّرَا

وَوَيْلٌ وَوَيْلٌ لِمَنْ حَرَّمَ احْ تِفَاْلاً لِمِيْلاْدِ خَيْرِ الْوَرَى

وَأَجْمَعَ أَهْلُ الْعُلُوْمِ عَلَىْ الْ جَوَاْزِ فَخُذْهُ لِكَىْ تَظْفَرَا

وَكَمْ مِنْ إِمَاْمٍ جَلِيْلٍ حَكَىْ دَلِيْلاً صَرِيْحًا يُرَىْ أَظْهَرَا

فَتَبَّتْ يَدَاْ مُنْكِرٍ جاْحِدٍ مَدِيْحَ الْحَبِيْبِ وَقَدْ خَسِرَا

إِذَاْ مُنْشِداً مَدْحَ طَهَ رَآَىْ يَفِرُّ وَوَلَّىْ إِذَنْ مُدْبِرَا

وَتَبْدُوْ كَرَاْهِيَّةٌ مِنْهُمُ وَيَسْطُوْنَ مَنْ مَدْحَهُ كَرَّرَا

فَإِيَاْكَ إِيَاْكَ مِنْ غيِّهِ وَكُنْ مُنْبِذاً قَوْلَهُ مِنْ وَرَا

فَلَيْسَ لَدَيْهِ دَلِيْلٌ وَلَوْ ضَعِيْفاً فَمِنْهُ اسْتَعِذْ وَاَهْجرَا

وَلَيْسَ حَيَاْءٌ لَهُ وَاَلْتُقَىْ وَلَيْسَ اِنْقِيَاْدٌ لِحَقٍ يَرَى

وَتَزْيِيْنُ بَاْطِلِهِ دَأْبُهُ وَتَزْيِيْفُ حَقٍ فَكَمْ غَيَّرَا

مِنَ اَلْدِيْنِ اَصْلاً وَفَرْعاً فَكُنْ نَبِيْهاً يَرَىْ مَاْخَفَاْ وَاحْذَرَا

وَصَلُوْا بِجَهْرٍ عَلَىْ اَلْمُصْطَفَىْ عَلَىْ رَغْمِ أَنْفِ اَلَذِيْ أَنْكَرَا

بِتَشْخِيْصِ ذَاْتِ اَلْحَبِيْبِ اَلَذِيْ اَصْ طَفَاْهُ اِلإِلَهُ لِكَىْ تَظْفَرَا

بِنَشْرٍ وَنَظْمٍ وَلَيْلٍ كَذَاْ نَهَاْرٌ فَتَحْظُوْا بِخَيْرٍ جرَى

وَقُلْ لِلْعَذُوْلِ اسْتَرِحْ وَاقْبِلَنْ عَلَىْ شَأْنِكَ ارْجِعْ إِلَيْ اَلْقَهْقَرَى

بِغَيْظِكَ مُتْ خَاْئِباً بَاْكِياً وَعُدْ خَاْسِئًا بَاْسِرًا أَخْسَرَا

وَغَنُّوْا فُرَادَىْ وَجَمْعاً بِمَدْ حِهِ بِارْتِيَاحٍ تَنَالُوْا اَلْقِرَى

تَمَتَعْ وَرَدِّدْ عَلَيْهِ بِلاَ اَكْـ ـتِرَاْثٍ بِقَوْلِ اِمْرِئٍ خَسِرَا

فَيَاْسَعْدَ مَنْ حَبَّهُ وَاَقْتَفَىْ عَلَىْ إِثْرِهِ نَهْجَهُ اَلأَنْوَرَا

وَصَلِّ وَسَلِّمْ وَبَاْرِكْ عَلَىْ حَبِيْبِكَ مَعْ صَحْبِهِ الْغُرَرَا

وَآلٍ وَأَتْبَاْعِهِمْ سَرْمَدَا مَتَىْ سَاْجِدٌ فِيْ الْدُّجَىْ سَهِرَا

وَعُثْمَاْنُ عَبْدُ الْهَوَى يَلْتَجِيْ حَبِيْبَ الْمُهَيْمِنِ مِنْ سَقَرَا

فهرس الكتاب

مصنفات المؤلف

١) إقناع المؤمنين بتبرك الصالحين
٢) التيجان المكلله في شرح النصائح المرسله
٣) المِنح الوهبيّة في ذم القبليّة والعصبيّة
٤) اللآلي السنيّة في مشروعية مولد خير البرية
٥) التبيين في أدلة التلقين
٦) التحفة في نشر محاسن البرده
٧) أنيس الجليس في ترجمة السيد أحمد بن إدريس
٨) التوضيح في شرح أذكار التسبيح
٩) المنتخب في شرح أوراد مرحب
١٠) البرهان في جواز الذكر بلفظ هو للملك الديان
١١) ترجمة الشيخ ابن حجر الهيتمي
١٢) النصائح المرسلة إلى طلاب العلم لله والآخرة
١٣) إرشاد الطالب إلى أحكام الشارب
١٤) تنبيه الأكياس على مساوي الوسواس
١٥) ديوان القصائد والمدائح النبوية
١٦) منية اللبيب في التبرك بآثار الحبيب صلى الله عليه وسلم
١٧) المنهل في أدلة التوسل

وقد طبعت هذه الكتب كلها ولله الحمد بدأ وختما .

وله أيضا مصنفات أخرى لم تكمل بعد، ونرجو من الله تعالى التيسير في إكمالها وطبعها، فإنه المستعان والموفق .